

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

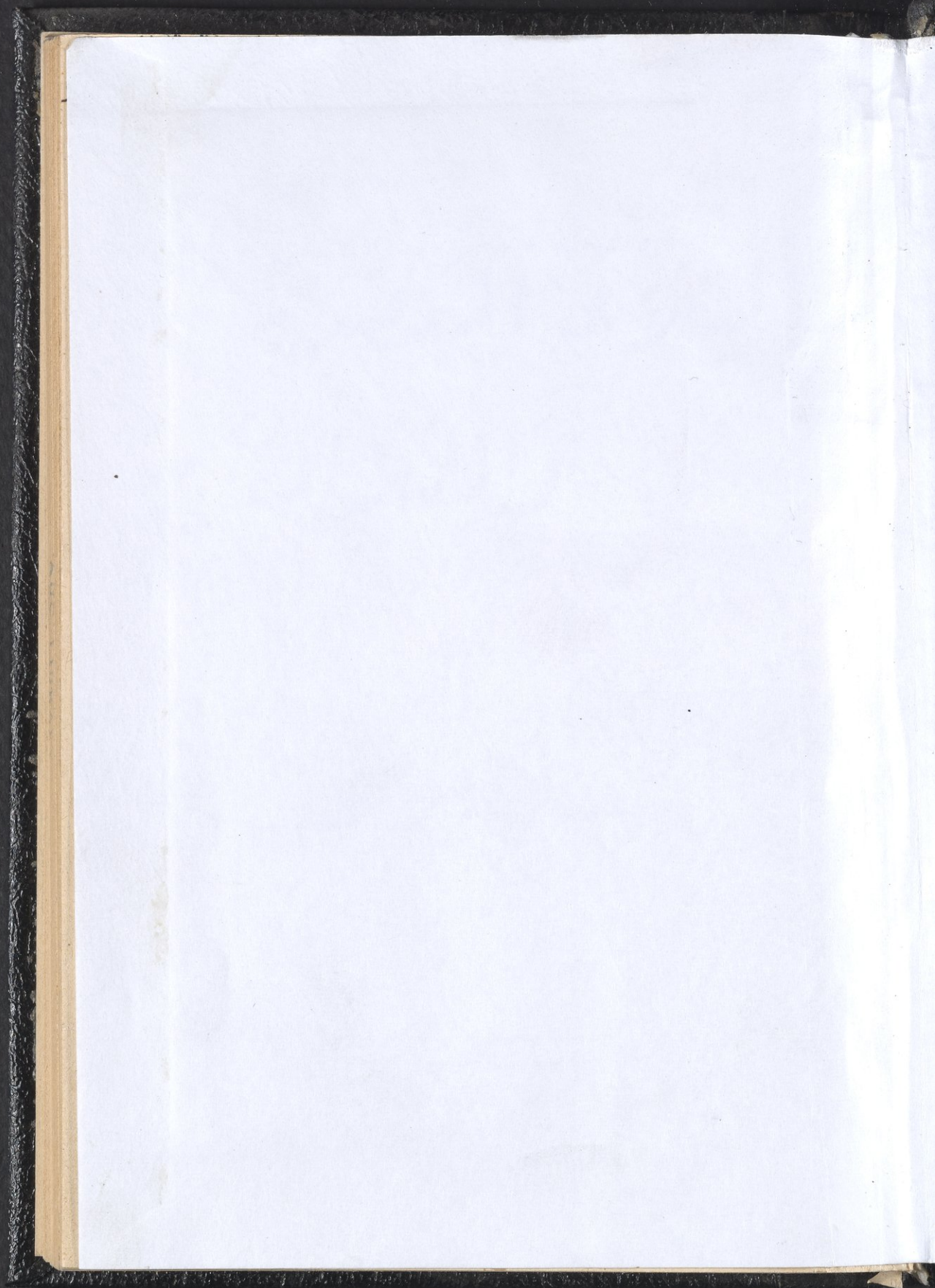


3 8534 00992 5581

موسم

موسم
موسم







سوس

١٩ - ٤ - ١٩٤٥

Mūsā, Salāmah

PJ
6074
M8
1945

al-Balāghah al-ʿasrīyah
wa-al-Lughah al-ʿarabīyah

البلاغه العصریه
لغوی

واللغة القرية

تألیف

سلامه موسى

الطبعة الفصحى: بصره

لصاحبها: الياس أنطون الياس

٦ شارع الخليج الناصري بالفجالة

492.7

5a3/m

OCLC
60506078

B12088213
13378259



26203



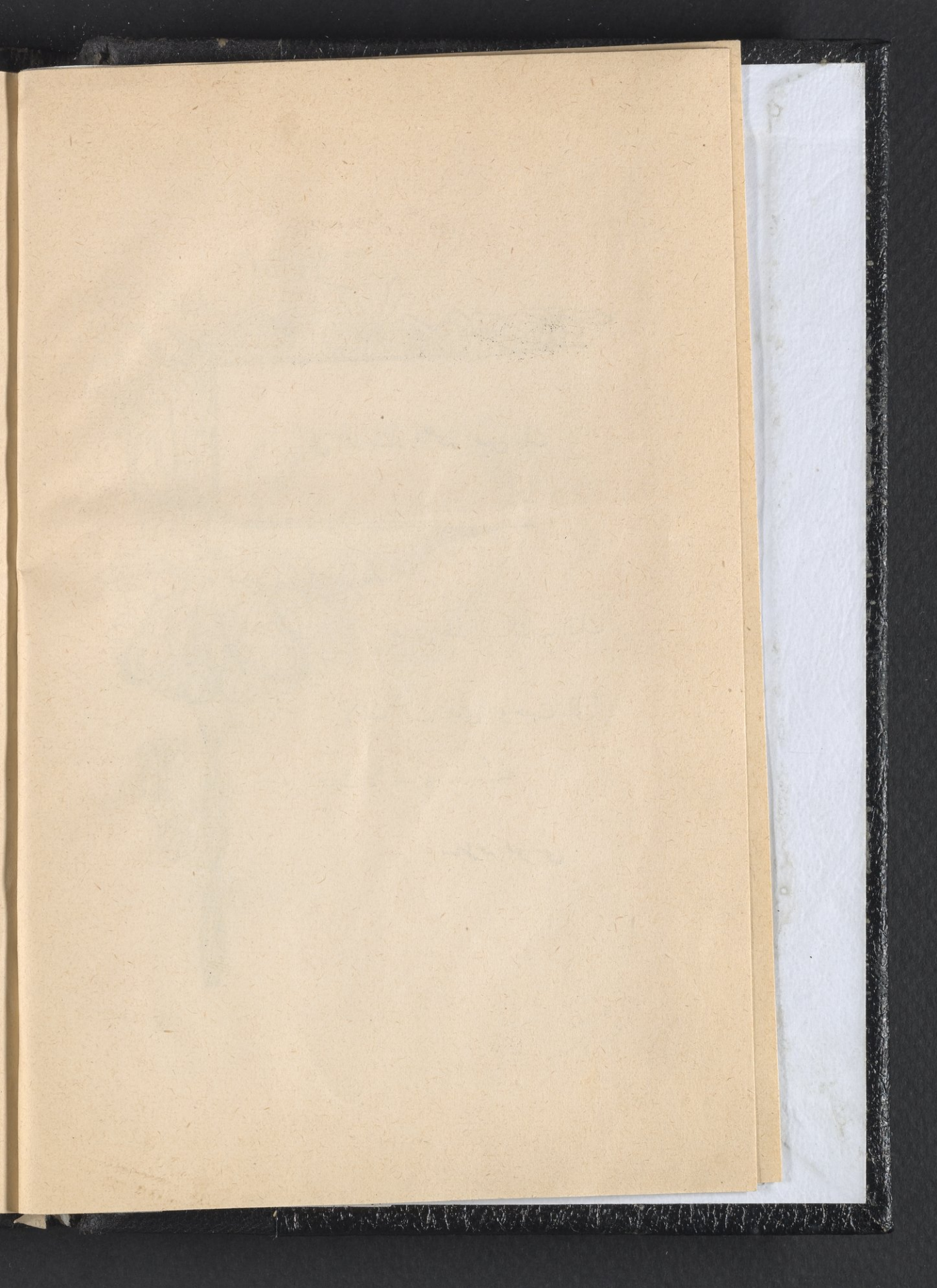
الى الاستاذ احمد امين بك

أهدى هذا الكتاب اليك

لأنك أنت الذى أوحيت الى

- من حيث لا تدري - بتأليفه

سلام موسى



فهرس

صفحة		صفحة	
	الكلمة الموضوعية	٣	الاهداء
٦٣	والكلمة الذاتية	٧	كلمات مقتبسة
٦٧	احدى الكلمات	٥	فهرست
٧١	اللغة القديمة واللغة العصرية	٩	المقدمة
٧٥	المجتمع العربى القديم	١٧	تمهيد
	الكلاسية داء الادب	٢١	اللغة والتطور البشرى
٧٩	العربى	٢٦	حين تربي الذئبة الانسان
٨٣	الايجاء الاجتماعى للكلمة	٣٢	الانثربولوجية واللغة العربية
٨٨	الاقوال افعال	٣٧	اللغة والسيكلوجية
٩٢	الذكاء واللغة	٤١	البيئة واللغة
٩٦	كلمات تبني الاخلاق	٤٦	اللغة والمجتمع
١٠١	الكلمة شعار	٥٠	الاحافير اللغوية
١٠٤	فن البلاغة	٥٤	ضرر اللغة
١٠٩	اللغة العصرية	٦٩	ضرر اللغة أيضاً

صفحة	صفحة
١٣٢	كلمات كوكبية ١١٣
١٣٧	القدرة على اصطناع الكلمات
١٤٠	الاجنبية ١١٩
١٤٥	اوجدين واللغة الاساسية ١٢٣
	التفسير الاقتصادي ١٢٩
	اللغة العربية في مدارسنا
	الخط اللاتيني
	التيسير . التيسير
	تلخيص



« كل كلمة هي صورة الصورة ، رمز لأحد الأوهام »

أناطول فرانس

« إنها لفكرة رهيبة أن تقول إنه ليس هناك أحد ممتاز حقاً
يستطيع أن يعرف ماذا يقصد . انظر إلى عطاء هذا العالم : ساسته .
فاننا لا نناقش ما يقولون بل ماذا كانوا يقصدون حين قالوا هذا
القول أو ذاك »

جيمس باري

« يفخر الصانع ويعنى بآلاته وأدواته . ولا يؤدي الجراح
عملياته بموسى قديم . والرياضي يبحث وينقب في لذة عن أدوات
الرياضة كالمضرب أو البندقية أو غيرها . ولكن الرجل الذي
يعمل بالكلمات ، ما لم يكن قد احترف التأليف ، (بل ليس هذا
دائماً) ، يهمل اهمالاً عجيبياً في اختيار أدواته . وهو لا يعرف أنه
في حالات كثيرة ، كلما قلت كلماته زادت قوتها »

ايغور براون

« يفكر الناس في إهمال لأنهم يكتبون في إهمال . ويؤدي
الاهمال إلى مخالفة الحقائق وإلى التعبير برطانة تضلل الناس والأمم في
سلوكهم وعقائدهم . أجل ، إن من أساء الكتابة فقد كذب »

الملحق الادبي لجريدة الشمس



مقدمة

كلنا نكتب الآن عن اللغة ، وكلنا نشعر بخطورة هذا الموضوع لأننا اتفهمنا ، بما نعرفه من اللغات الاوربية ، الى ان تأخرنا اللغوى فى مصر هو سبب من أعظم الاسباب لتأخرنا الاجتماعى . وقد كان الثقاب الذى أشعل هذا الموضوع فى وجدانى وبعثنى على تأليف هذا الكتاب مقالا نشره الاستاذ احمد امين بك فى مجلة الثقافة يراه هنا القارئ فى صفحة ٤١ أوضح فيه ان معاني الكلمات تتغير حين يتغير الزمان أو المكان أى حين يتغير المجتمع الذى تستعمل فيه الكلمات . ويمكن القارئ أن يعد هذا الكتاب شرحاً وتعليقاً وتوسعاً فى معانى هذا المقال

واللغة المثلى هى التى لا تلتبس كلماتها ولا تنساح معانيها ولا تتشابه عن بعد أو قرب . بل هى التى تؤدى المعانى فى فروق واضحة كالفرق بين رقمى ٥ و ٦ . ثم هى اللغة الثرية الخصبه التى تتسع للتعبير عن المعاني الكثيرة التى يحتاج اليها المتعدنون . بل هى التى تتسع أيضاً

لاختراع الكلمات الجديدة التي تتطلبها الحاجات النامية المتزايدة
لهؤلاء المتمدنين

وفي مصر طبقة من الكتاب حاولت ولا تزال تحاول استخدام
اللغة العربية وسيلة من الوسائل الأدبية لاسترداد الأُمس . بل ان
عندنا من اللغويين من يتحدث عن اللغة العربية كما يتحدث
المستشرقون الأوروبيون عن اللغة السنسكريتية . ولكن مع فرق
أصيل . فان هؤلاء لا يحاولون إحياء الميت من الكلمات السنسكريتية
ولكن أولئك يحاولون هذا الأحياء للكلمات العربية حين كان
يجب عليهم ، لو كانوا على وجدان بالعصر الحديث ، أن يدفنها .
ومعظم هذه الطبقة يتألف من معلمى اللغة العربية فى مدارسنا

وليس فى هذه الدنيا شئ هو أثمن من اللغة الحسنة . لأننا
نفكر وننبعث بالكلمات . وسلوكنا فى البيت والشارع والحقل
والمصنع هو قبل كل شئ سلوك لغوى . لأن كلمات اللغة تقرر لنا
الأفكار والانفعالات وتعين لنا السلوك كما لو كانت أوامر . بل
نستطيع أن نقول إن سيادة البريطانيين على الهنود أو المتمدنين على
المتوحشين هى إلى حد ما سيادة لغوية : أى مجموعة خصبة وافية من
كلمات المعارف والاخلاق تحدث براعة فى الفن وتوجيها فى السلوك
يؤديان إلى السيادة . . . وأحيانا إلى العدوان

وحرمان لغتنا من كلمات الثقافة العصرية هو لذلك حرمان
للأمة من المعيشة العصرية . فنحن ما زلنا نعيش بكلمات الزراعة ولما
نعرف كلمات الصناعة . ولذلك فإن عقليتنا عقلية قديمة جامدة متبلدة
تنظر إلى الماضي . حتى أننا نؤلف في ترجمة معاوية ابن أبي سفيان في
الوقت الذي كان يجب أن نؤلف فيه عن هنري فورد ومغزى الصناعة
في عصرنا . أو عن كارل ماركس ومغزى تفكيره المستقبلي

والدعوة إلى لغة عصرية هي في صميمها دعوة إلى المعيشة
العصرية . لأن الكاتب ، حين يستبيح اعتناق الكلمات العامية كما
هي بلا ترجمة ، إنما هو في الواقع يستبيح حضارة العلم والمنطق والرقى
الصناعي بدلا من حضارة الآداب والعقائد والزراعة

وواضح أن اللغة هي ثمرة المجتمع الذي يتكلم أفرادها بها . ولكن
المجتمع أيضاً هو ثمرة اللغة التي تعين لأفراده بكلماتها سلوكهم الذهني
والعاطفي . وقد التفت إلى عبارة قالها الأستاذ عباس محمود العقاد
بشأن الاشتراكيين في مصر لها مناسبة هنا . إذ هم يدعون ، على غير
ما يجب ، إلى اللغة العامية . وقد حسب عليهم هذه الدعوة في
قائمة رذائلهم . لأنه هو يعتز بفضيلة اللغة الفصحى ويؤلف عن خالد
ابن الوليد أو حسان بن ثابت . ولكنه غفل عن التفسير لهذه الظاهرة
الاجتماعية وهي أن الاشتراكيين شعيون يمتازون بالروح الشعبي

ويعملون لتكوينه . وهم لهذا السبب أيضاً مستقبلون وليسوا سلفيين .
ولذلك يحملهم احترامهم للشعب على إثارة لغته الحاضرة على لغة
السلف . في حين أنه هو سلفي الذهن في لغته وأسلوبه
وتفكيره وسلوكه

وليس الأستاذ العقاد وحيداً في هذه السلفية . لأنني أعتقد أن
٩٠ بل ربما ٩٩ في المئة من كتابنا سلفيون . وهذه السلفية هي
نتيجة حرمان الأمة من الرقي الصناعي وقصرها على الزراعة وعرقلة
بل عرقلة كل تقدم صناعي حاولته الأمة في السنين الستين
الآخيرة . لأن المجتمع الصناعي كان جديراً بأن يحدث مجتمعاً
مستقبلياً يكتب مؤلفوه بلغة الشعب وتنتقل اهتماماتهم الذهنية من
التأليف عن قدماء العرب إلى التأليف عن مشكلاته العصرية في
الاخلاق والتعليم والاقتصاد ومكافحة الفاقة . وإنني بالطبع لا أغفل
هنا ارتباط اللغة بالتقاليد والعقائد وأن هذا الارتباط من أسباب
الكراهة للتطور اللغوي . أعني أن العقلية الكلاسيكية في اللغة ،
عقلية التقاليد التليدة ، قد أحدثت لنا مزاجاً أدبياً اجتماعياً هو
النظر إلى الماضي ومحاولة استرداد الأمل والتبلمد والتجمد
في الوقت الذي نحتاج فيه إلى أن نشق طريقنا إلى المستقبل
وهذه هي إحدى الغايات التي قصدت من تأليف هذا الكتاب

ولكن هناك غايات أخرى . فاني أردت أن أصل بالقارىء إلى تصور جديد للغة من حيث نشأتها وتكونها إلى نضجها وما تحمل من رواسب تاريخية قد تعود علينا بالضرر لأنها كانت تخدم مجتمعاً ربما كانت فضائله معدودة بين الجرائم في سلوكنا العصرى . كما انى التفتُّ إلى الضرر الفادح بتفكيرنا حين نستعمل كلمات ليست محكمة المعنى فلا تنعقد الصلة الحسنة بها بين الكاتب والقارىء . وهذا كثير فى لغتنا وهو عقبة فى التفكير العلمى الدقيق . ولم أنس أن نبه القارىء إلى أن بلاغتنا التقليدية التى تعلم لطلبتنا فى المدرسة والجامعة هى بلاغة الانفعال والعاطفة فى الوقت الذى نحتاج فيه إلى تأكيد المنطق والعقل . كما انى توسعت فى شرح المعنى الذاتى والمعنى الموضوعى للكلمات . وهذا موضوع تخصب فيه الالتباسات والشبهات فى المجادلات السياسية أو العقيدية أو الاجتماعية . وقد مسست بعض الاصلاحات المقترحة مثل إلغاء الاعراب واتخاذ الخط اللاتينى وأكثر من المقارنات بين لغتنا واللغة الانجليزية لى أبرز للقارىء عيوب لغتنا وإرهاقها للمتعلمين بقواعد وتقاليد لم تعد لها فائدة

وبدهى أنه لو تفشى النظام الصناعى فى مصر لاستبعت ثقافة علمية وأدباً مستقبلياً . وعندئذ يأخذ « التميع » فى اللغة مكان

« التجمد » لأن جميع الظواهر الاجتماعية تنهض على أساس من النظام الاقتصادى . واللغة إحدى هذه الظواهر . ونحن بالطبع آخذون فى تعميم الصناعة فى بلادنا على الرغم من العرقلة بل العرقبة التى تلاقيها مصانعنا من أولئك المسيطرين الذين يرون أنه لا يجوز لنا أن نعيش على هذا الكوكب إلا مزارعين وفلاحين نتج القطن رخيصاً وفيراً

ولكن ليس من المعقول أننا الذين تنبها وأصبحنا على وجدان بالرقى العصرى أن نسكت ونقول . « دعنا من الكلام فى رقى اللغة حتى يعمم النظام الصناعى وهو الكفيل بالتغير المنشود » إذ يجب أن نساعد على هذا الرقى بتجديد اللغة . وحسبنا من هذه المساعدة أن نشخص الداء ونومى إلى الدواء وتنبه الغافلين وننصح المعاكسين

وأعظم هؤلاء المعاكسين هم الذين تخصصوا فى درس اللغة العربية مثل خريجي « دار العلوم » فان تخصصهم هذا قد حال بينهم وبين دراسات بشرية عديدة فضاقت أفاقهم وصاروا ينظرون إلى لغتنا كما لو كانت إحدى اللغات المتحجرة فى المعابد فلا ينبغي تغيير كلمة أو حتى أسلوب التعبير فيها أو خطها . زد على هذا أنهم قد أصبحوا طبقة لهم وضع اقتصادى ووجدان

طبق ينهضان على استبقاء اللغة العربية في جمودها الحاضر . ولذلك
يخشون التغيير ويرون فيه هجوماً على مصالحهم الاقتصادية . ولكن
يجب أن نذكر أن مصلحة الأمة يجب أن تعلو على مصالح
أية طبقة فيها

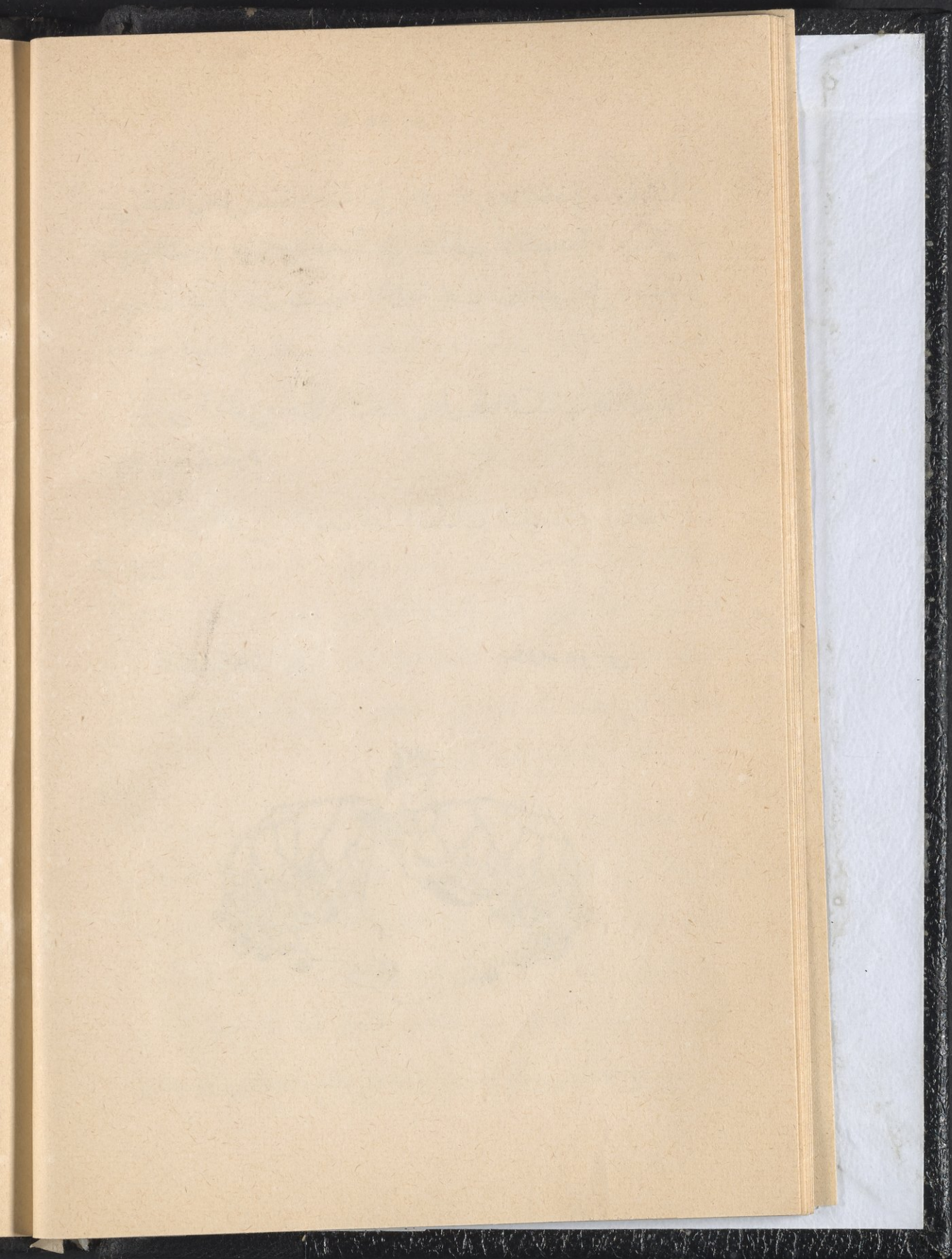
وظنى أنه حتى هؤلاء سيجدون في هذا الكتاب أفقاً جديداً
يتجه إليه تفكيرهم

وحسبى من تأليف هذا الكتاب التنبيه ، ثم المناقشة ،
ثم العمل ما

مارس ١٩٤٥

— سلام موسى —







أعظم المؤسسات في أية أمة هو لغتها . لأنها وسيلة تفكيرها
ومستودع تراثها من القيم الاجتماعية والعادات الذهنية .
واللغات تتفاوت . فهي مجموعة صغيرة من الكلمات قد لا تزيد
على ثلاثمئة كلمة عند إحدى القبائل البدائية ، وهي قد تبلغ مئة ألف
كلمة عند أمة متمدنة قد ارتقت فيها الفنون والعلوم .

واللغة الراقية هي علم وفن وفلسفة . بمعنى انه يمكننا أن ننظر
إليها النظر العلمي ، فنبحث أصولها ، ونميز بين معانيها ، بل نضع الكلمات
الجديدة لتأدية المعنى الجديد . ويمكننا أن ننظر إليها النظر الفني ،
فننشد بالكلمات والجمل رفاهية ذهنية لا تؤديها الدقة العلمية .
وكذلك يمكننا أن ننظر إليها النظر الفلسفي ، فنضع الكلمات الجديدة
أو نكسب الكلمات القديمة معاني جديدة تؤدي بعد ألفتها في
المجتمع إلى حال منشودة من الخير .

وغاية اللغة قبل كل شيء هي الفهم . ولم نصل بعد إلى اللغة
المثلى ، بل نحن لا نكاد نعرف كيف تكون ، إذا جعلنا الفهم أول
غاياتها . فقد وصلنا في العدد إلى الأرقام الهندية فكانت أعظم

خطوة لغوية في الحساب والعلوم . فهل نستطيع يوماً ما أن نصل في سائر الموضوعات إلى لغة تنقل إلينا الفكرة الفنية أو العلمية أو الفلسفية بمثل الدقة والسهولة اللتين ننقل بهما إلى أذهاننا عدد الألف أو المليون . . ؟

وإلى أن نصل إلى هذه الغاية ستبقى اللغة عاجزة عن التعبير الدقيق . إذ يجب أن نذكر من الآن أننا لا نعرف الدقة التامة في أى علم من العلوم إلا إذا استطعنا أن ننزل بحقائقه إلى الأرقام . ولذلك ليس مفر من أن نقول ، إن الرقى في اللغة يعنى الدقة ، وهو يقاس بها . فما دامت الكلمة مسيية في المعنى تحتل هذا المعنى ونصفه فضلاً عن معنيين مشتبهين فانها تضر التفكير ، كالألة التي لم يحكم بناؤها ولا يمكن التكهّن بمنتجاتها . والانسان حيوان لغوى ، يرى ويسمع ويفكر باللغة . ولكل كلمة إحياء معين في أذهاننا . ففي مصر تقول « وزير » وفي الولايات المتحدة الأمريكية يقولون « سكرتير » والعمل الذى يؤديه الوزير والسكرتير واحد . ولكن إحياء الكلمة الأولى أرسقراطى . وإحياء الكلمة الثانية ديمقراطى . ولهذا أثره البالغ في الشعب الذى يلوّك إحدى الكلمتين ، كما له أيضاً أثره البالغ في نفس الموظف الذى يصف نفسه بأنه سكرتير أو وزير . فهو متواضع في الحال الأولى ، متفخ في الحال الثانية .

والكلمات توجيه اجتماعى بعيد الأثر في المجتمع . فان كلمة « البر »

وفى ١٩٢٦ بلغ مجموع الكلمات التى عرقتها ثلاثين كلمة
وفى ٢٩ يناير من ١٩٢٦ مشت على قدميها مع الأطفال
وفى ٧ يونية من ١٩٢٦ رفضت أكل الرمم
وفى ٦ ديسمبر من ١٩٢٦ أبدت حياء ورفضت الخروج من
غرفة النوم بدون ثياب . وكان عمرها وقتئذ من سنة ولادتها ١٤ سنة
ومن يوم تركها للذئبة ٦ سنوات

وفى ١٤ يناير من سنة ١٩٢٧ بلغت كلماتها ٤٥ كلمة
وفى ١٥ يولية من ١٩٢٧ بدأت تخشى الكلاب إذا نبحتها
وفى ١٤ نوفمبر من ١٩٢٩ ماتت وعمرها نحو ١٧ سنة

* * *

ولنا فى حياة هذه الفتاة الهندية المخطوفة مغزى بل طائفة
من المغازى .

المغزى الأول : إن السلوك يستقر فى السنوات الأولى من
الطفولة، ربما كانت السنوات الأربع أو الخمس أو الست . وانا بعد
ذلك يشق علينا إلى ما يقارب الاستحالة إن نغير هذا السلوك .
ونعنى بالسلوك الاستجابات العاطفية التى ينشأ عنها تصرفنا

والمغزى الثانى : إن ما نسميه طبيعة وغيرة إنما هو فى أحوال
كثيرة تعليم وقدوة . حتى المشى تنساه إذا عشنا مع ذئبة . بل يذكر
المؤلف إن هذه الفتاة عندما قبض عليها كانت قد برعت فى المشى

على أربع حتى كانت تسبق المطاردين لها من البشر
والمغزى الثالث : إن أسلوبنا الذى نتخذه فى المشى والخوف
والأكل والشرب والغضب - كل هذا مكتسب بالوسط وليس وراثياً
والمغزى الرابع ، وهذا هو الذى قصدنا إليه من هذا الفصل ،
إن اللغة هى التى تعين لنا السلوك والتصرف البشريين . فان هذه
الفتاة قبض عليها وهى فى الثامنة فاحتاجت إلى سنتين لكي تقول
« ما » للرئيسة ولكي تقول « بهو . بهو . » فى طلب الطعام والشراب
وبداً ذكاؤها عندئذ يتفتق . فكان استظهار الكلمات ترافقه تغيرات
فى السلوك . وهذه التغيرات تدل على حركات ذهنية وتفاعل بين
الفتاة والوسط

فاذا كان أحدنا يعيش فى غابة أو صحراء منفرداً بلا لغة فان ذهنه
لن يتفتق بل يبقى مغلقاً مثل هذه الفتاة الهندية من حيث الاعتبار
البشرية . ولم تكن هذه الفتاة جاهلة من حيث الاعتبار الذئبية
ولكن ذهنها كان عاطلاً عندما قبض عليها وعمرها ثمانى سنوات
وبقى عاطلاً أو كالعاطل إلى أن ماتت بعد أن بلغت ١٧ سنة لأنها لم
تحصل إلا على ٤٥ كلمة أى مقدار ما يمكن أن يعرفه ابله . فهى من
حيث الذكاء الطبيعى ربما لم تكن ناقصة ولكن من حيث تفق هذا
الذكاء كان النقص واضحاً . وأكبر أسبابه انها كانت خرساء لا تعرف
الكلمات البشرية التى تحمل إليها العواطف والأفكار البشرية .

اللغة والتطور البشرى

هناك أسباب كثيرة لتطور الانسان الذى وصل به إلى السيادة على سائر الحيوان . فان ضخامة دماغه قد أعدته للتفكير السديد . ثم قامته المنتصبة قد حررت يديه فجعلته يحمل الآلات . ومن ثم صار تفاعل بين العقل واليد . الأول يتخيل ويخترع ، والثانية تتناول وتنفذ . ثم هناك العينان فى الوجه (وليس فى الصدغين كما فى سائر الحيوان) فانهما تشرفان على مجال فسيح يجمع بين أشياء كثيرة ويجعل العقل قادراً على المقارنة والتمييز .

ولو كان دماغ الانسان صغيراً لما قدر على التفكير . ولو كانت يدها على الأرض يمشى بهما ، لما قدر على تناول الآلات والأشياء . ولو كان اعتماده على الشم بدلاً من النظر لصغر المجال الذى يشرف منه على الوسط ، فما كان عندئذ يجد المادة للتفكير الجامع التعميمى

فالدماغ واليد والعين كلها تجمعت وتعاونت لرفع الانسان فوق الحيوان . ولكن هناك عاملاً آخر كثيراً ما يهمل هو اللغة . فان الانسان قبل كل شيء حيوان لغوى . والحيوان صوت ولكن

للإنسان لغة . و فرق عظيم بين الاثنين . فان الحيوان عندما يتألم أو يخاف يصرخ . والصراخ هنا ذاتي يعبر عن احساسه . ولكن الإنسان عندما يتألم أو يخاف ينادي . فهو هنا موضوعي ، قد تقل احساسه إلى غيره من زملائه .

ومع هذا لا يزال حتى الصراخ غير عام بين الحيوان وقت الخوف أو الألم . فان السباع وحدها هي التي تصرخ ، كما نرى في القط والكلب والأسد . أما البهائم مثل البقر أو الحمير أو الخراف فلا تصرخ عندما تتألم أو تخاف .

ولكن يجب ألا ننسى إن الصراخ ذاتي . أما النداء فهو موضوعي . الأول عاطفة كله . والثاني عاطفة وعقل . الأول حركة عقيمة لا تحيز غير مكانها . أما الثاني فدعوة إلى المجتمع .

والحيوان لعجزه عن اختراع اللغة لا يخترن تفكيره ولا ينتفع لهذا السبب بتفكير آبائه أو زملائه . ولكن اللغة عندنا جعلت الزمن تاريخياً ، والفضاء جغرافياً . فالكلب الذي يعيش في القاهرة يعرف الشارع الذي به منزله وبضعة شوارع أخرى . ولكن الصبي يعرف « جغرافية » القاهرة ومكانها في القطر ومن النيل بل مكانها على كوكبنا . فالفضاء عنده جغرافي بفضل هذه الكلمات : القاهرة . النيل . مصر . البحر المتوسط . أفريقيا . آسيا . الخ . و خيال الصبي لهذا

السبب يتسع وتفكيره يهر بهذه الكلمات التي ورثها من المجتمع الذي يعيش فيه .

وكذلك الشأن في الزمن . فان وقت الكلب هو ساعته أو يومه . أما نحن فلنا أمس وغد . ولنا سنين ماضية وسنين قادمة . ولذلك لنا تاريخ .

ولولا الكلمات التي جعلت الزمن تاريخياً ، والفضاء جغرافياً ، لما استطعنا أن نفكر ونحتزن اختباراتنا ، فضلاً عن اختبار معاصرنا وأسلافنا . أى لما كان لنا ثقافة . والحيوان ينتفع باختبارات الشخصية التي مرت به في حياته . ولكننا نحن - بفضل اللغة - نتفع باختبارات غيرنا في العصور الماضية والعصر الحاضر .

وتفكيرنا يمتاز من تفكير الحيوان بالذكاء ، بالسبب عظيم يتصل بالأسباب التي سبق فذكرناها . نعى إننا نفكر بالكلمات . وصحيح اننا نستطيع التفكير الساذج البدائي بلا كلمات كما يحدث في الأحلام ، ولكن التفكير الذي تتداخل فيه العوامل وتنسبط ساحته يحتاج إلى كلمات . ويكاد يكون من المستحيل أن نفكر بذكاء أو منطق في أى موضوع بلا كلمات . وليس بعيداً أن يكون التفكير في صميمه كلمات غير منظوقة كما يقول واطسون . واعتقادي اننا ننسى اختباراتنا في السنتين الأوليين من أعمارنا لأننا لم نربط هذه الاختبارات بكلمات

تجعل التفكير فيها ممكناً لأنها لم تنقش في الذاكرة
بكلمات...

وكثير من التفكير الحسن، بل أحياناً من العبقرية، يعود إلى أن
اللغة التي نستعمل كلماتها قد بلغت من الرقي درجة عالية. لأن الكلمات
في هذه اللغة تحمل المعاني الأنيقة الدقيقة التي لا توجد في كلمات لغة
أخرى متخلفة. ويتضح هذا عندما نقارن بين اللغة الألمانية وبين
لغة متخلفة من لغات أفريقيا السوداء. فلوان «جيت» ولد في قبيلة
أفريقية لما استطاع أن ينتج الثمرات الزكية التي تقطفها من مؤلفاته
لأن اللغة القبلية لم تسكن عندئذ لتسعه بالكلمات التي تؤدي معانيه.
بل كانت تبقى هذه المعاني أجنة تؤله بالخاص ولا تجد المخرج
من ذهنه، أو تخرج جيضة.

فلكى تفكير الحسن نحتاج إلى اللغة الحسنة، نعى اللغة
الدقيقة التي تؤدي معنى معيناً ولا تتجاوزها إلى هوامش المعنى.
وكذلك يجب أن تكون أنيقة لا تستطيع وصف الألوان الأصلية
كالأبيض والأسود فقط بل تستطيع أن تنقل إلينا الظلال والأصباغ
التي بينهما. فليس من البلاغة أن تقول إن الأخضر يطلق على الأسود
كما تقول معاجنا. بل يجب أن نميز لوناً من آخر تميزاً صارماً. كذلك
يجب أن نضع الكلمات التي تعين الألوان الخفية بينها. ويجب أن

تكون لنا بلاغة عصرية لا تقتصر على مخاطبة العواطف بل تخاطب العقل . ويجب أن تكون غايتها الأولى الفهم . وما دام الأمر كذلك فإن المنطق هو الأساس الأول لأية بلاغة يراد بها التعبير السديد . .

ولكى نفهم الفهم الدقيق الأنيق باعتبارنا متمدنين يجب ألا نقنع بالمعنى الغامض المسيب بل يجب أن نعرف الجوهر السيكولوجي الذي تعيش فيه كلماتنا . وهل هي تؤدي الغاية الأولى من وجودها وهي التفكير الحسن (أى الفهم) أم لا ؟





حين تربي الذئبة الانسان

كثيراً ما كنا نسمع عن أطفال بشريين يعيشون مع الحيوان وينشأون النشأة الحيوانية . وكنا نحمل هذه القصص على انها نوع من الاختراع الذي لا يصدق . ولكن الواقع ثبت إن هناك أطفالاً خطفتهم الحيوانات وقامت بتربيتهم . فنشأ هؤلاء الأطفال وعاشوا في الغابات .

والذئبة أقرب الحيوانات إلى اتخاذ مهمة الأمومة للطفل البشري . وسبب ذلك إنها تغزو القرى والحقول المجاورة . وأكثر ما يكون هذا في الليل ، وأقله في النهار . فاذا وقعت على طفل في الحقل غفلت عنه أمه حملته لكي تأكله . فاذا تلمس الطفل حملات ضرعها ورضع تحرك حنوها فعطفت عليه . وأخذت عاطفة الأمومة والرعاية مكان عاطفة الجوع والأكل . وعندئذ ترعاه كأنه ابنها . ويتفق هذا في القليل النادر .

والمعروف إن الرضاع يثير في الأم حنواً لا تحسه قبله . ولذلك فانه يقال ، إن المرأة التي تريد أن تتخلص من وليدها عقب الولادة

بقتله أو نبذه ، إنما تفعل هذا قبل أن ترضعه لأنها لا تحس حنواً عليه .
فاذا أرضعته شق عليها الانفصال منه وحنّت عليه .
وهناك حوادث تم تحقيقها وثبت ثبوتاً مؤكداً فيها إن الذئاب
خطفت بعض الأطفال فنشأوا في جحورها وعاشوا مع الذئاب .
ويمكن القارئ المستطلع أن يقرأ كتاب المسترجيل عن « طفل
الذئاب وطفل الانسان »

Wolf Child and Human Child; by A. Gesell.

فان المؤلف كان يعيش في الهند سنة ١٩٢٠ فسمع عن صبي
بشرى يعدو عند الغسق مع ذئبة ويسلك سلوكها . وكان بالطبع
لا يصدق هذه الاشاعة . ولكنه بعد تكرارها عمد إلى بندقيته
وتعقب الذئبة الى الجحر ، فقتل الذئبة وقبض على صييتين كانتا في
جحورها . وكان هذا في ١٧ أكتوبر من سنة ١٩٢٠ . وكتابه هو
قصة هاتين الصييتين .

ولترك الصغرى منها لأنها ماتت بعد سنوات . أما الكبرى
فيرجع المؤلف انها ولدت سنة ١٩١٢ ولا يعرف متى خطفت . وكان
المؤلف وزوجته يديران ملجأ . فوضعت الصبية فيه وكان عمرها
وقئذ ثمانى سنوات . فكانت في النهار تنام أو تقعد ووجهها إلى
الحائط . فاذا جاء الليل نشطت وصارت تجرى على أربع : يديها
وركبتها . وكانت تشرب الماء لعقاً بلسانها من الاناء الذي تنحنى فوقه

وتلحق منه كالكلب أو الذئب . ولم تكن تخشى الظلام . فإذا كانت ساعة معينة في الليل لا تتغير ، عوت عواء الذئاب . وإذا اقترب منها أحد كشرت عن أنيابها . وكانت تقتش على الرمم وتأكلها . وكانت تحب جراء الكلاب وأطفال الماعز والقطط والفراخ وتلعب معها جميعها ولكنها كانت تنفر من الأطفال الشريرين .

قلنا إنه قبض عليها في ١٧ أكتوبر من سنة ١٩٢٠ . ونقول إنها بقيت تمشي على أربع بل تنهض على أربع إلى ٢٤ مايو من سنة ١٩٢٢ حين وقفت على قدميها بعد أن أغريت على ذلك .

وفي أغسطس من ١٩٢٢ وقفت على رجليها وأكلت من الطبق بيديها بدلا من أن تأكل بفمها مباشرة . ولكنها ما زالت إلى هذا التاريخ تلتق الماء

وفي نوفمبر من ١٩٢٢ قالت « ما » لرئيسة الملجأ وقالت أيضا « بهو . بهو . » في طلب الماء أو الطعام . ولم تكن قد نطقت قبل ذلك بكلمات . مع إنها كانت تصرخ أو تصيح

وفي ١٠ يونية من ١٩٢٣ . وقفت وحدها على قدميها بلا اغراء وفي ٩ يناير من ١٩٢٤ بدأت تخشى الظلام . وكانت أيام توحشها مع الذئبة تخشى النهار وتختبئ ثم تنهض في الليل وتعزوا الحقول والقرى مع أمها الذئبة

وفي ١٩٢٥ شربت من كوب على الطريقة البشرية

من أشرف الكلمات الموحية التي تربي الأبناء وتبعث على التعاون والاءاء، في حين أن كلمة «الدم» تُحدث في كل عام في بعض مديريات الوجه القبلي نحو ثلاثئة قتيل ، لأنها تحمل شحنة عاطفية تجعل كثيراً من الرجال يقتلون بلا روية .

والكاتب المتنبه الذي يحس الوجدان الاجتماعي يجب أن يؤكد المعاني البارة للأمة وأن يضع الكلمات الجديدة لكي يوجه التوجيه الفلسفي أو الاجتماعي . وبذلك تنمو اللغة وتتطور ولا تتركذ . واللغة في تفاعل لا ينقطع مع المجتمع الذي ينطق أفرادها بها . والقيم اللغوية في تغير دائم لهذا السبب . والمحاولة لوقف هذا التغير هو تعطيل للتطور الذهني للأمة

ومن الغايات الشريفة لكل لغة الاقتصاد في التعبير . فاللغة الحسنة تتوق المترادفات لأنها ثرثرة صيانية يضع بها الوقت . والكاتب الذكي يحيل المترادفات من التوحيد إلى التنويع . فنحن نميز الآن بين الذهن والعقل ، وبين الروح والنفس ، وبين الحكومة والدولة ، وبين المثقف والمتعلم . وهذا حسن . وكذلك نحن تتبع الأسلوب التغرافي وتخير الكلمة التي تحمل المغزى فضلاً عن المعنى وهذا الكتيب قد توخيت فيه بحث بعض مشكلاتنا اللغوية مع تعيين الأهداف التي نرمي إليها من اللغة . وأرجو أن أبعث به المناقشة عن القيم اللغوية العربية، ووجوه الإصلاح فيها بالبناء

والهدم. فنحن أمة متطورة، فيجب أن تكون لنا لغة متطورة، بل لغة
متمدنة تتسع للتعبير عن نحو مئة وعشرين علماً وفناً لم يكن يعرفها
العرب الذين ورثنا عنهم لغتنا . ويجب أن يتغير رأينا في البلاغة عما
ألفوه . فانهم كانوا يقصدون منها إلى أنها فن لمخاطبة العواطف، ولكننا
يجب أن نزيد على هذه الغاية غاية أخرى، هي أن تكون البلاغة
علماً يراد به مخاطبة العقل . لأننا نعرف إن الحضارة التي نعيش في
أحضانها قامت على الأرقام الهندية التي تخاطب العقل في دقة
وبساطة أكثر مما قامت على الاستعارات والمجازات التي تخاطب
العاطفة في اغراق ومترادفات .

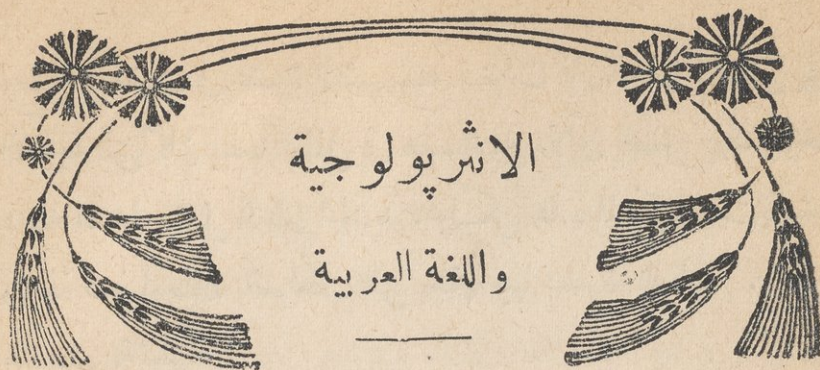
وكلمات اللغة هي بمثابة النقود التي نتعامل بها . وكثيراً ما يكون
فيها النقد الزائف أو القديم الذي يلي وانسح منه نقشه . والأمة التي
تهمل كلماتها ولا تجدد لها ولا تسك الكلمات الجديدة هي أخسر
من الأمة التي تميز التداول للنقد الزائف . لأننا نشترى بنقود المعدن
أو الورق حاجات الجسم، ولكننا نشترى بالكلمات حاجات الذهن
والروح والأخلاق والرقى .



ومع إنها قضت في عشرة البشر سبع سنوات فإن ذهنها لم يتفتق إلى الدرجة التي كان يبلغها الطفل في هذه السن . لأن الطفل يولد ولوحة ذهنه مسحاء تتقبل التعليم الجديد . ولكن هذه المسكينة التقت بالبشر ولوحة ذهنها حافلة بالعواطف التي بعثها فيها عشرة الذئاب . ومن هنا صعوبة تعامها

واللغة هي التي تجعل الزمن تاريخياً والفضاء جغرافياً . وهذه الفتاة حرمت من اللغة فخرمت بذلك من الفهم . وشرعت تفهم السلوك البشري وتمارسه بدلا من السلوك الحيواني حين تعلمت الكلمات . وكانت كل كلمة جديدة تعين لها فكرة جديدة أو عاطفة جديدة





الانثريولوجية

واللغة العربية

كان يمكن أن أستغنى عن هذا الفصل في هذا الكتيب .
ولكني أعالجه في سرعة وإيجاز لكي أجعل القارئ يألف الطريقة
ويدخل في المزاج اللذين تتألف منهما اللغات بل وترتقي
فان الكلمات أصوات نشأت بين البرمائيات كالضفدع لكي
ينادى الذكر الانثى . وكانت غايتها الاولى لهذا السبب جنسية .
بل ما زلنا نرى ان أغاريد الطيور التي تنضح بها الجو في الربيع إنما
يقصد بها في الاغلب نداء الجنس الآخر للتناسل . والصوت يعبر
عن العاطفة . ولذلك يجب ألا نستغرب قول فرويد ان الباعث
الاولى للنشاط البشرى هو الشهوة الجنسية . ويجب ألا يصد منا
هذا القول لأن فرويد قد بصر من خلال هذا القول الى الجذور
الاولى التي تختفي في جوف التطور . ومهما تنتشر الفروع وتبسق في
السماء فان جذورها لا تزال في الارض

ولغتنا العربية مجموعة أو خليط من كلمات الحضارة والبداءة بل
والغابة الاولى حين لم يكن يعرف الانسان الزراعة أو الصناعة

انظر مثلاً الى كلمة « كُفَّح » التي تعم جميع البشر في نهى الطفل عن شيء . فانا وانت والقردة والانجليز والالمان والصينيين والهنود والاغريق الخ سواء في هذا الكلمة التليدة

ونشأت لغتنا كما نشأت جميع اللغات في الاوساط البدوية الاولى . وكان استنباط المعاني يجري وفقاً للوسط . ونستطيع الآن بتحليل الكلمات والرجوع الى أصولها القديمة أن نعرف العقائد والقواعد الاجتماعية التي كان يعيش أسلاف العرب فيها . انظر مثلاً الى كلمة « الحياة » . فاما مشتقة من « الحيا » أي عضو التناسل عند المرأة . وما زال الفلاحون عندنا يقولون « حيا البقرة » أو « حيا الفرس » . وقد كان الانسان البدائي لا يعرف ان علاقة الرجل بالمرأة تؤدي الى التناسل فكان يعتقد ان الام هي الاصل الوحيد للأولاد . بل انه كان يصنع التماثيل « للحيا » ويحملها باعتقاد ان الحيا أصل الحياة وانه مادام يحمل تمثاله فانه سيعيش وينجو من المخاطر . وعلى هذا الاعتقاد ، بأن الام هي كل شيء ، صار النظام الاجتماعي عند الانسان البدائي أمويًا . وهذا واضح عند قدماء العرب ، و يتضح أكثر عند ما نعرف أصل كلمة « الضمد » أو « الحماة »

وتطور الناس وانتقلوا من النظام الاموى الى النظام الابوى . ولكن بقيت في لغتنا « الحياة » تدل على أصولنا وجذورنا الاجتماعية .

ثم من الرحم اشتق الناس الرحمة . أي ان الرحمة كانت في
الاصل العلاقة القائمة بين أبناء الرحم . وهذه الكلمة تدلنا على ان
النظام الاموى سبق النظام الابوى . ثم ارتقى الناس فصارت الرحمة
فضيلة عامة بين أبناء القبيلة أو الامة . كما اشتقنا نحن الاخاء البشرى
من الاخوة بين أبناء العائلة

وكذلك عرف الانسان البدائى الروح من الريح . والنسمة من
النسيم . والنفس من النفس (بفتح الفاء) لأن الفارق الوحيد عنده
بين الحياة والموت لم يكن أكثر من التنفّس . فاذا انقطع كان الموت .
ومن هنا نشأت عقيدة الروح

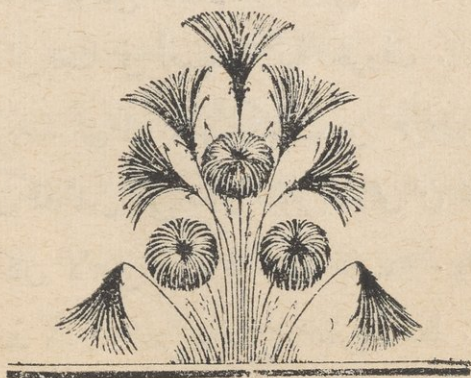
وهذه الكلمات وكثير غيرها تكشف لنا عن اللبّات الاولى
التي تكون بها أساس اللغة العربية . وكل كلمة منها مغزى اثربولوجى
يوضح لنا نشأة الافكار والعقائد

فنحن في عصرنا نميز مثلاً بين الاسود والازرق والاخضر
ولكن معاجنا لا تزال تحتفظ بالمعنى القديم لهذه الالوان وهى انها
لون واحد ، ويشارك العرب معظم الامم البدائية فى اشتقاق الملاحه
بمعنى الظرف والصباحه من الملح . لأن الملح كان من الاشياء الثمينه
التي لم يكن يحصل عليها غير المترفين

واعتبر أيضاً اشتقاق المساعدة من الساعد . لأن المساعدة تعنى
ان أحدا يستعمل ذراعه فى خدمتنا . واعتبر الانف من الانف ، والشم

من الشم . لأننا حين نأنف من شيء نرتفع بأنوفنا . أو انظر كيف
اشتقت المعاقبة من التعقب . لأن الانسان البدائي كان يعاقب خصمه
بأن يتعقبه حتى يجده ويثأر منه . وما زالت معاجنا تقول : « تعقبه :
تتبعه وأخذه بذنب كان منه » . أو انظر الى كلمة « كف » بمعنى منع ،
فإنها مشتقة من الكف أى باطن اليد . لأننا نمنع الناس بأيدينا أى
بكفوف أيدينا . والكفيف سُمي كذلك لان بمثابة من يضع كفه
على عينيه . ثم انظر الى فعل « احصى » بمعنى عد . فإنه مشتق من
الحصا أى صغار الحجر . وذلك لأن الانسان البدائي كان يحجل العد
بالارقام . فكان اذا شاء مثلاً أن يعرف ما عنده من خراف وضع في جعبته
عن كل خروف حصاة . فاذا شاء العد اخرج حصاة عن كل خروف .
وحسبه هذا . وقد اشتق الرومان الحساب والعد على هذه الطريقة
نفسها كما نرى في الفعل الانجليزي « كالكيوليت Calculate » بمعنى
حسب من « كالكيولس Calculus » بمعنى الحصاة أو الحجر
والمشهور ان لغتنا في أصلها ثلاثية الحروف . ولكن الاغلب
أنها كانت ثنوية . أى ان كلماتها كانت من حرفين فقط . فيها هنا
أربع وعشرون كلمة تدل على معان متقاربة ، وهى ان شيئاً قد خرج من
شيء . وربما كان الاصل البائد لها جميعاً « نب » . وهى نبأ . نبت .
نبت . نبج . نبذ . نبر . نبس . نبش . نبض . نبط . نبع . نبغ . نتأ .
تمح . نفت . نفخ . نفذ . نفر . نغض . نعط . نط . نطف . نطق .

وهذه الكلمات مترادفة في معنى الشيء يخرج من شيء آخر .
ولكن من مصلحة اللغة والفهم أن نعين لكل منها معنى يختلف عن
الآخر . وهذا هو ما قضى به منطق اللغة والتمييز الذهني
ومن هذا الفصل الموجز ، يتضح لنا ان كل لغة انما هي بمثابة
المصنع الذي يعيش في عصرنا ، ومع ذلك يجمع في مستودعاته فأساً من
الحجر كانت تستعمل قبل ثمانية آلاف سنة ، وابرة من الشوك كان
أسلافنا يستعملونها قبل مئة الف سنة ، وسيفاً من البرونز كان يستعمل
قبل أربعة آلاف سنة ، وبين مصنوعات آخر مثل الرديفون والمصباح
الكهربائي والسولفانيلا ميد . ومن هنا هذا الارتباك الذهني الذي
يؤدي الى قلة الفهم أو اختلاطه . ذلك لأننا نستعمل أدوات قديمة
لكي تؤدي لنا خدمات جديدة .





الحقّ ان هذا الكتاب بجميع فصوله هو بحث سيكلوجى فى القيم اللغوية . واذا كان هذا يجرنا الى ابحاث اخرى اجتماعية أو تاريخية فان الغاية الاولى يجب أن تبقى ماثلة وهى اننا ننظر الى اللغة خلال العدسة السيكلوجية

ولم تعط اللغة سوى القليل من حقها من الدراسة السيكلوجية الى الآن. وصحيح ان الرغبة فى الدعاية قد حملت قليلين على هذه الدراسة فى اللغات الاوربية، ولكن الموضوع لا يزال فى اولياته . وهو بكر فى اللغة العربية

وقيمة اللغة فى التفكير وفى السلوك لا تزال الى حد كبير مجهولة . والعجب اننا لم نلتفت من قبل الى اننا نفكر بالكلمات. واننا لانعرف حقائق الاشياء التى تناوّلها بالذهن أو باليد، وانما نعرف أسماءها فقط . وكثيراً ما يختلط علينا الاسم والمسمى . فنظنهما شيئاً واحداً . مع ان الحقيقة هى ان الكلمات رموز للاشياء . والشبه بينها وبين النقود كبير هنا . فان القرش قطعة من المعدن نرسم بها الى قوة شرائية معينة .

ولكن هذه القوة خاصة بنا نحن ، أى بمجتمعنا ، وليست خاصة بالقرش
من حيث انه قطعة من المعدن

وكذلك الشأن فى الكلمات ، فانها رموز فقط ، فاذا لم تنبئه الى
هذه الرمزية فاننا تقع فى ألوان من السخف ، وتتورط فى أنواع من
المعانى التى قد تضرنا بدلا من أن تنفعنا ، وتستبد بنا بدلا من أن
نستخدمها . وكثيراً ما يحدث هذا لنا . فان مانسميه تفكيراً مثلاً ، انما
هو ، أو معظمه فى أغلب الاحوال ، كلمات تجرى على المستوى
العاطفى فتؤدى الى الانفعال بدلا من التفكير

ومنذ أن نولد يتسلط المجتمع علينا بالكلمات التى تتلقنها منه .
فننشأ وقد فرضت علينا مقاييس اجتماعية وأخلاقية وروحية من هذه
الكلمات . ونجد اننا نسلك سلوكا معيناً بما غرسته هذه الكلمات فى
أذهاننا من القيم . ونحن فى هذا السلوك نعتقد اننا أحرار . ولكن
الواقع اننا مقيدون بهذه الكلمات التى بعثت فى أنفسنا انفعالات
واكسبت أذهاننا قيما لا مفر لنا من التسليم بهما . لان هذه الكلمات
قد تعلمناها من الصغر حين لم يكن قد نضج الذهن وتدرّب على
التساؤل والنقد . فنحن نسلم تسليماً أعمى ولا نعترض على المغزى الذى
تفرضه علينا الكلمة . فنحن نقول : التشاؤم . والسماء . والروح .
والحياة . والشرف . والوطن . والشجاعة . الخ . ولم يقف أحدنا قط
ويسأل : ماهذه الاشياء ؟ لان جميع هذه الكلمات تحدث فى أنفسنا

انفعالا نظن انه طبعي لا يحتاج الى التساؤل . أو تحدث مقاييس ذهنية
نعيش بها ونسلك في حياتنا على مقتضاها . ونظن ، حين نستعمل هذه
الكلمات ، اننا نفكر . والحقيقة ان التفكير هنا في حدود هذه الكلمات
لا يتجاوزها . بل الواقع اننا لو شرعنا في التفكير السديد المحكم في
أحدى هذه الكلمات لهاج علينا المجتمع . وذلك ان هذا المجتمع قد
ورث هذه الكلمات وانتظم بمعانيها ومغازيها . فهو يأبى على الفرد أن
يستقل ويفكر منفصلا عنه . لأن هذا التفكير هو عندئذ هجوم على
هذا المجتمع ، أى على عقائده وعاداته الذهنية وعواطفه النفسية
ولكل منا مجتمعه الذى يتأثر به ويفهم معانى الكلمات كما
أكتسبها منه . فكلمة الشجاعة ، مثلا ، تحمل طائفة من المعانى
تختلف باختلاف المجتمعات

فالشاب فى حلبة المصارعة فى نادٍ رياضى يفهم من الشجاعة معنى
خاصا . والجندى فى الجيش يفهم من هذه الكلمة معنى خاصا آخر
يختلف من المعنى الاول . وحين اقول « شجاعة الاسد » التى تختلف
أيضاً من المعنى الذى اقصده حين اقول « شجاعة شهداء المسيحية » ،
افهم معنى يختلف مما اعنى حين اقول « شجاعة سقراط » . ثم لا ننس
شجاعة اللص الذى نشأ فى عصابة تفتك وتقتال . ثم شجاعة ذلك
الفيلسوف الذى يرفض القتال ويرضى بالاعتقال لأنه « عالمي » .
ثم شجاعة الكاتب الذى لا يبالى رأى العام . الخ

والكلمات بذلك لا تكسبنا اتجاهها اخلاقياً على «المستوى الذهني» فقط، بل تكسبنا أيضاً اتجاهها مزاجياً على «المستوى العاطفي». فان كثيراً مما نشمئز منه أو نظرب له أو ننشط اليه يعود الى الكلمات التي تعاملنا وانغرست بها عواطفنا . وحسب القارىء ان اذ كر له ان كثيراً من الرجال والسيدات في مصر يشمئزون من الانكليس مع انه مثل سائر السمك بل يُعدّ من اجوده . وذلك لأنه يسمى « ثعبان » . بل انظر الى كلمة « بجمعة » فانها اسم شنيع لطائر يعد تحفة في الطيور . ولذلك لم يستطع شاعر عربي أن يستغل الطاقة الفنية في هذا الطائر لشناعة اسمه . مع ان اسمه في الانجليزية والفرنسية جعل كثيراً من الشعراء الانجليز والفرنسيين يذكرونه في اشعارهم . وكذلك يجب ان نذكر ان كثيراً من شعرائنا يذكرون « البلبل » بكثرة لحلاوة اسمه فقط اذ هم لم يروه قط . ومع انه ليس فيه شيء من جمال البجع

وهنا لنا عبرة . فاذا شئنا ان نعمم رأياً أو عقيدة فلنختار لها اسماً مغنطيسياً جذاباً

والخلاصة اننا نفكر بالكلمات . وكثيراً ما ننخدع فنظن اننا نعالج الاشياء في حين اننا نعالج اسماءها فقط . ثم ان الكلمات تكسبنا اتجاهها اخلاقياً او تكون لنا مزاجاً فنياً . وأحياناً تحمل الينا تقاليد هي رواسب الثقافة القديمة التي كثيراً ما تضرنا في مجتمعنا العصري والفصول القادمة هي توسع في هذه المعاني .



الاصل في هذا الكتيب مقال نشره الاستاذ احمد امين بك في
« الثقافة » اشار فيه الى أن الكلمات تتغير معانيها بتغير الزمن والبيئة،
جاء فيه :

« أن اللغة تؤدي معانيها في دقة وإحكام في مواد العلوم ،
كالرياضة ، والطبيعة ، والكيمياء ، ومصطلحاتها مضبوطة قل أن
يعتريها غموض أو إبهام . وقريب من ذلك التاريخ ، فاللغة قادرة
على أداء معانيه وحمل رسالته أداء حسناً ، وإن لم تبلغ في ذلك مبلغ
العلم ، فإذا نحن جاوزنا ذلك إلى الفلسفة والأدب رأينا اللغة مسكينة
عاجزة عن أداء المعاني في وضوح وضبط وإحكام ، حتى المصطلحات ،
من الصعب تعريفها وضبطها . فما أصعب أن تعرف « الوجود ،
والحقيقة » ، و « ما وراء الطبيعة » ، وما إلى ذلك ، وما أصعب ما
تعرف « الشعر » « والأدب » و « الخيال » ونحوها ، وكذلك في
فروع الفلسفة والأدب ، فمن الصعب تعريف « الجمال والجميل » ،
و « الفضيلة والذيلة » ، و « الزمان والمكان » و « العدل والحرية » ،

ومن العسير تعريف « القصة والرواية والمثل » ، وما أكثر ما يقع الناس في الجدل والحجاج لأن كلاً يتكلم وفي ذهنه معني للشيء غير ما عند الآخر ، ولو اتفقوا على التحديد لاتفقوا على النتائج . ولا أنسى حادثة رويت لي وهو أنه من زمان أرادت حكومة العراق التعاقد مع الحكومة المصرية بالمراسلة والخطابات ، فكان الاتفاق مستحيلاً لأن كلاً الحكومتين كان لها معنى خاص في مصطلحاتها لا تفهمه الأخرى ، ولم يتم الاتفاق حتى تمت المشافهة والاتفاق على معاني المصطلحات . وسمعت محاضرة لفاضل عراقي في التربية ، فتار جدل حول الموضوع تبين أن سببه الاختلاف في المصطلحات ، فهم يطلقون اسم « المدارس الداخلية » على غير مانطلق ، ويسمون « الفصل » مانسميه نحن بالسنة ، ويسمون « التوقيعات » مانسميه نحن بالترقيات ، ويسمون « مدارس الحضانة » مانسميه نحن برياض الأطفال ؟ وهكذا .

« من أسباب وقوع الناس في الخطأ اللغوي عدم دقتهم في الاستنتاج ؛ فهناك عقول تستنتج من الجملة أكثر مما يلزم ، وهناك عقول تستنتج منها أقل مما يلزم ، وكلاهما خطأ . إذا قلتُ : « إن الغول مرعب » فاستنتجت منه أني أقول : « إن الغول موجود » فقد أخطأت ، واستنتجت أكثر مما يلزم ؛ لأن الخيال قد يرعب ، والوهم قد يرعب ولو لم يكن الشيء موجوداً ، وإذا حدثك عن فرس

بأنه أشهب، فاستنتجت أني أقول إنه موجود، كان استنتاجك صحيحاً؛
ومن الناس من لا يفرق بين القضيتين . وليس الأمر مقصوداً على
الجل ، بل دلالة الألفاظ على المعاني تختلف جد الاختلاف بين
الأشخاص بحسب مدنياتهم وثقافتهم وعقليتهم ، فإذا قلت : « كرسى »
لم يكن معناه عند الفلاح القروي كعناه عند المدني المتحضر ، وكذلك
الشأن في كلمة « بيت » ، و « دولاب » ، و « سرير » ، وإذا
قلت : « علم الحساب » فمفهومها عند الصانع المتعلم تعاماً بسيطاً ليس
كالمعنى الذي يفهمه العالم بالرياضيات ، وهكذا . وهذا ما يجعل
الناس إذا اختلفت مدنياتهم وعقلياتهم وثقافتهم لا يتفاهمون تفاهماً
صحيحاً . ومن أسباب ذلك عدم دلالة الألفاظ على معان واحدة
في الرؤوس المختلفة ، ولا تصدق أن معاجم اللغة تستطيع أن تشرح
دلالة الألفاظ شرحاً تاماً صحيحاً ، فكل كلمة هالة غير معناها الأصلي
يعجز المعجم عن شرحها ، فدنيا الأطفال التي تعين على شرح الألفاظ
غير دنيا الرجال ، ودنيا الفلاح غير دنيا المتعدن ، ودنيا الجاهل غير
دنيا العالم ، وكل يفسر الألفاظ حسب دنياه .

« يتصل بهذا أن كل لفظ من ألفاظ اللغة يوحى بأشياء تختلف
باختلاف الأشخاص حسب بيئتهم وتجاربهم في الحياة وغير ذلك .
فكلمة أبيض توحى إلى الفلاح باللبن ، وقد توحى إلى الطفل بالسكر ،
وقد توحى إلى سكان البلاد الباردة بالثلج ، وكلمة « وزير » توحى

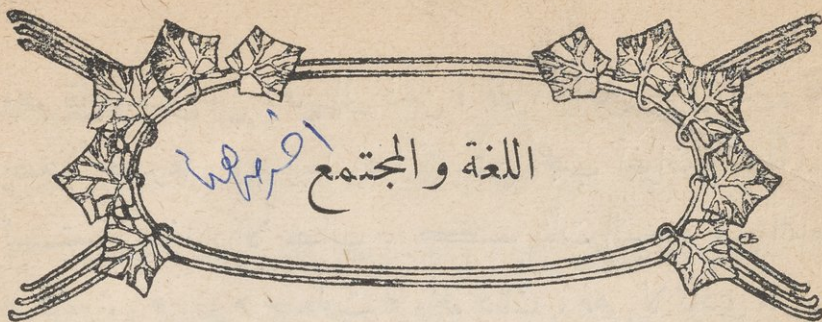
الى الشرقيين بمعان غير مأتوحى به عند الغربيين ، وكلمة « العيد »
توحى إلى الأطفال بمعنى الثياب الجديدة والأراجيح ، وعند أطفال
آخرين بالهدايا تهدي إليهم ، وعند الرجال بالزيارات والتهنئات الخ ،
وكلمة « البرلمان » و « نظام الحكم » توحى بمعان مختلفة فى الأفراد
المختلفة والأمم المختلفة ، وهذا سبب آخر من أسباب الاختلاف بين
الناس فى الإفهام والفهم ، فوحى الألفاظ عند الناس يختلف
اختلافاً كبيراً .

« بل قد يكون اللفظ يوحى بمعنى عند الناس فى عصر لارتباطه
بحادثة أو نادرة ، فإذا نسيت الحادث انقطع وحى اللفظ ، فمذ سنين
كانت كلمة « تعديل الأساس » و « ردم البرك » ، و « الحكم
الصالح » تستثير منا الضحك لا يحائها بمعان خاصة فى ظروف خاصة ،
فلما زال الإيحاء زال التأثير . ولذلك أعتقد أنا فقدنا كثيراً من كتب
الجاحظ وقطع الأدب الاجتماعى ، لأن بعض ألفاظها وجملها كانت
توحى بمعان معروفة ، فلما تقادم الزمن جهلت فبطل سحرها . إن
شئت فاقراً رسالة الترييع والتدوير للجاحظ ، وهى تدور حول
السخرية من « أحمد بن عبد الوهاب » تشعر بغموض فى بعض الجمل
والإرشادات ، وسبب غموضها أنها كانت إشارات إلى أشياء مفهومة
فى زمنها ، ثم انقطع وحيا فغمض معناها .

« ما وظيفة اللغة ؟ يخطئ من يظن أن اللغة تؤدى غرضاً واحداً ،

وهو ثقل المعنى من ذهن إلى ذهن ؛ فلها أغراض أخرى كثيرة قد يصعب حصرها ، وقد يبعد إدراكها . فمن أعجب أغراضها أحياناً أنها تستعمل لتخدير الأعصاب ، كتمرينات السحرة مثل ألفاظ « شهورش » ، و « جلاجوت » ونحو ذلك ، فهي لا تؤدى معنى ، ولكن تخدّر الأعصاب بغرابتها وتأليف حروفها ، ولذلك لا يصح أن نحاول كثيراً فهم سبع الكهان فهماً تاماً ، فهي لم يقصد منها إلا فهم التام بقدر ما قصد منها التخدير ؟ والمعاني المحلولة ، وأحياناً يقصد بالألفاظ مجرد ماتوحيه من نغمات موسيقية لها أثرها النفسى كأثر الموسيقى . ولذلك لم تكن تخلو الأدعية الدينية إذا تليت فى المعابد بلغة أجنبية من أثر قد يكون بالغاً ، لأن الألفاظ توحي بمعان سحرية موسيقية ، وإن لم تفهم معانيها الأصلية ؛ وهذه لغة الإنسان الأول كانت صيحات متشابهة اللفظ ، ولكنها أحياناً تدل على الخوف وأحياناً على طلب النجدة ، وأحياناً على التحذير من خطر ، وإنما تختلف دلالتها باختلاف موسيقاها »





يجب على قارئ الفصل السابق أن يفهم أكثر مما قال الأستاذ أحمد أمين بك. أى يجب أن يفهم أن اختلاف البيئة والمجتمع والتاريخ والجغرافيا يغير معانى الكلمات التى نستعملها، ونعتقد أننا سواء فى فهم معانيها. فعبارة «سلطة الحكومة» تعنى معانى مختلفة فى الهند والولايات المتحدة ومصر وألمانيا وروسيا واليمن. وهذا الاختلاف الذى ينشأ من الجغرافيا يقابله اختلاف آخر ينشأ من التاريخ. ومن هنا الصعوبة التى نجد فى فهم الكتب الدينية القديمة. لأنه كان للكلمات التى استعملت مثلاً قبل ألف سنة ملابس لا نجد مثلها فى عصرنا. بل كذلك كتب التاريخ، فإن المؤلفين يلتفتون إلى معان لم نعد نلتفت إليها. لأن اللغة الحية تتفاعل مع المجتمع وتتغير بتغيره. أما إذا كانت لغة خاصة بالكهنة تتلى فقط فى المعابد والتفاعل ينعدم. والكلمات عندئذ تتحجر أى تحتفظ بمعانيها على مدى المئات أو الألوف من السنين. ومثل هذه اللغة تعد فى القيمة الاجتماعية صفراً

فإن اللغة الحية تتفاعل مع المجتمع فتتخطى بالخطاها وترتقى بارتقائه، أى

انها تتطور . وهي حين تتطور ينشأ بينها وبين المجتمع اتصال فيسيولوجي ووظائف عضوية كما بين اليد والذهن ، كلاهما يخدم الآخر وينتفع به

ولهذا السبب يجب ألا يكون للمجتمع لغتان احدهما كلامية أى عامية والاخرى مكتوبة أى فصحي ، كما هي حالنا الآن فى مصر وسائر الاقطار العربية . لأن نتيجة هذه الحال ان اللغة المكتوبة تفصل من المجتمع فتصبح كأنها لغة الكهان التى لا تتلى الا فى المعابد وينقطع الاتصال الفسيولوجي بينها وبين المجتمع فلا تتطور . ولهذا يجب أن تكون غايتنا توحيد لغتى الكلام والكتابة . فنأخذ من العامية للكتابة أكثر ما نستطيع ونأخذ من الفصحى للكلام أكثر ما نستطيع حتى نصل الى توحيدهما

واللغة الحية هى الجهاز العصبي للمجتمع أو الشبكة التلفونية التى يتخاطب ويتفاهم بها أفرادها . فاذا عجزت عن تأدية هذا التخاطب والتفاهم فهى خرساء أى بمثابة الشبكة التلفونية المقطوعة أو التالفة . ويجب السرعة فى ترميمها

وقد عرفنا هذا الخرس فى كثير من شؤوننا الثقافية . فان المسرح مثلاً لم يرتق لاننا لم نستطع تأليف الحوار باللغة الفصحى بين أشخاص الدراما . لان الكلمة الفصحى ليست « جوية » أى انها لا تنقل لنا جو الحديث . لأننا الفنا أن يكون الحديث باللغة العامية فترجمته

الى اللغة الفصحى يصد منا ويشعرنا بان هذه الكلمة ليست فى مكانها،
أى ليست فى جوها الاجتماعى

ولغتنا خرساء - والخرس هنا أوضح وأخطر - من حيث اننا
جعلناها مثل لغة الكهان جامدة لا تتغير . وكانت نتيجة هذا ان
فى العالم نحو مئة وعشرين عالماً وفناً لا تنطق لغتنا العربية الا بنحو
عشرة أو عشرين منها . ولكنها خرساء فى سائرها

فاللغات الانجليزية والالمانية والفرنسية وغيرها لغات ناطقة فى
مئة وعشرين عالماً وفناً . ولغتنا خرساء فى نحو مئة علم وفن . ولهذا
السبب نحن جبلاء فى جميع هذه العلوم والفنون ما دمنا قد اقتصرنا على
لغتنا . ونحتاج لسكى نستير بهذه العلوم والفنون الى درس احدى
اللغات الناطقة

فالتفاعل القائم الآن بين لغتنا ومجتمعنا ليس تفاعلاً صحيحاً . فان
هناك انفصلاً يحول دون إيجاد الدورة اللغوية كاملة به . ولذلك
حدث المرض من هذا الانفصال وهو الجهل لنحو مئة علم وفن لا يمكن
أن نعرفها الا اذا تركنا لغتنا ونطقنا بلغة أخرى

ثم اعتبار آخر يجب أن نلتفت اليه . وهو اننا ورثنا كلمات كانت
قبل الف سنة تعبر عن حاجات المجتمع العربى فى بغداد أو مصر أو
دمشق . وهذا المجتمع كان اتوقراطياً ارستقراطياً . فورثنا كلماته
الاتوقراطية الارستقراطية ، مع اننا نحاول أن نكون مجتمعاً ديمقراطياً .

ونحن نتأثر بهذه الكلمات ونستضربها لأنها توجهنا الى غير ما نحب من الوجوهات وتغرس في شبابنا عواطف نكره أن نراها في القرن العشرين . فانظر مثلاً أى إحياء كلمة وزير في مصر ، بجانب إحياء كلمة سكرتير في بريطانيا أو الولايات المتحدة . وانظر الى إحياء عبارات : صاحب الدولة . صاحب السعادة . صاحب العزة . فانها جميعاً عبارات تفتت العقائد الديمقراطية التي تقول بالمساواة الاجتماعية . أو انظر الى كلمة « حضرة » التي لا يمكن ترجمتها الى أية لغة أوربية (ولكن يمكن ترجمتها الى اللغة الصينية . . .)

ثم انظر الى ما ورثنا من المجتمع العربي القديم بشأن المرأة . فقد النى هذا المجتمع المرأة من الحياة الاجتماعية الغاء يكاد يكون تاماً . أما نحن فقد « رددنا الاعتبار » للمرأة المصرية . ولكن مازلنا نستعمل الكلمات القديمة فنقول « أم فلان » أو « حرم فلان » ولا نذكر الاسم ، مع ان الاسم جزء من الشخصية واهماله هو سبب للمرأة . ألا ترى كيف ان أحدنا يعتاظ اذا أخطأ أحد في ذكر اسمه فقال « على حسين » بدلا من الاسم الحقيقي « حسين على » ؟ وهذا لأن كلاً منا يحس ان اسمه من كرامته وهو بعض شخصيته . واهمالنا لاسم المرأة هو تراث لغوى قديم يحمل الينا عقيدة اجتماعية يجب أن نكافحها فيجب أن نؤلف بين المجتمع ولغته . فنجعل اللغة ديمقراطية اذا شئنا أن نكون مجتمعاً ديمقراطياً ما

الاحافير اللغوية

أحافير الحيوان والنبات هي الاجسام المتحجرة التي مضى عليها
الالوف أو ملايين السنين . ونحن نستخرجها من باطن الارض
ونحفظها في المتاحف لكي نعرف منها تطور الحياة . ولا يمكن أن نرد
الحياة الى هذه الاحافير لأن الحياة قد أبادتها وارتقت عليها
وأخرجت لنا أنواعا أخرى . وهذه الاحافير كانت في يوم ما من تاريخ
الارض حية ، ولكن سنة التطور قضت عليها بالانقراض

وفي اللغات أحافير من الكلمات التي لا تجري على لسان أو
قلم ولكن المعاجم تحتفظ بها للدراسة كما تحتفظ المتاحف بأحافير
الدينصور أو غيره . فاذا عمد كاتب الى استخراجها وبعث الحياة فيها
فانه لن يصل من هذا المجهود الا الى تكليف المجتمع عبثاً لا يتنفع به
فالانسان القديم كان يعتقد ان عالمه حافل بالالهة والارواح
الطاهرة والنجسة ، وان حياته مدبرة بها للخير أو للشر . وكان ينشد
حظه في النجوم والكواكب ، ويتمن بحركة الطير أو يتشاءم بها .
وكان الانسان القديم راضياً بهذا العالم يجد فيه منطقاً للسلوك الحسن
فكان يستعمل الكلمات التي تؤدي له هذه المعاني . وقد نبذنا نحن
هذه العقائد ، ولكن بقيت الكلمات الغيبية القديمة التي نستعملها

تفسد أذهاننا . حتى اننا من وقت لآخر نقرأ عن مخاطبون الارواح
أو يقرأون طالعنا في النجوم . وما زلنا نتفائل أو تتشائم من حادث أو
كلمة . وما زال للعفاريت والجن والنجوم سلطان على بعض النفوس
التي لا تستطيع أن تتخلص من هذه الاحافير اللغوية . ذلك لان
الطفل ينشأ وهو يستمع الى هذه الكلمات فتغرس فيه عقائد يعجز
عن التخلص منها حتى وهو في الخمسين أو الستين من عمره
وأحياناً نجد رجلاً ممتازاً في العلوم التجريبية قد درب ذهنه على
تحري الحقائق المادية ينزع الى الايمان ببعض الغيبات وكل ما عنده
كلمة مثل « روح » يحملها ويجري بها وراء المشعوذين الذين يبحثون
له عنها تحت المائدة أو على ألسنة الدجاجة الذين يستغلون تصديقه .
وهو انما ينزع الى هذه الغيبات بفضل كلمة أو كلمات تعلمها في الصغر
فغرس في عادات ذهنية لم يعد قادراً على التخلص منها
ولكن الاحافير اللغوية لا تقتصر على ما ورثنا من كلمات مثل
الجن أو العفاريت أو الارواح ، فانها تتسرب الى لغتنا المألوفة حتى
لنقول « علا نجمه » أو « أفل نجمه » أو نحو ذلك . ونحتاج الى شرح
مسهب كي نقل المعنى العصري لصبياننا بهذه التعابير القديمة التي
كانت حية ايام الفراعنة أو البابليين . وما دمنا نشرحها الشرح العلمي
ونبين للصبي ان العقيدة القديمة كانت مخطأة واننا لا نرمي من هذا
التعبير الا الى معنى النجاح والرقى أو العكس ، فان كل الضرر ينحصر

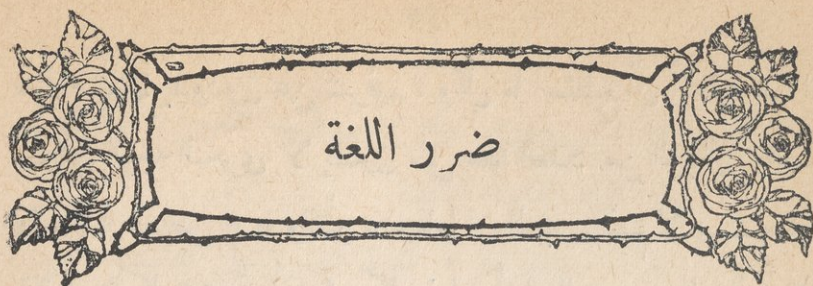
عندئذ فيما نتكلف من شرح . وقد يكون لهذا التعبير فائدة للصبي حين يعرف منه عقائد القدماء البائدة

ولكن هناك أحافير لغوية كبيرة الضرر على مجتمعنا . ومن أسوأها في مصر في عصرنا هاتان الكلمتان « شرق وغرب » فان كلمة شرق توحى إلينا اننا بشر نتمى الى آسيا وأفريقيا وكأننا على عدااء مع اوربا وأمريكا . ولما كان الاوريون والامريكيون هم المتمدنون السائدون في العالم فان عدااءنا يغرس في نفوسنا كراهية للتمدن وعادات التمدنين . ومعظم المقاومة التي للقبعة، بل كلها تقريباً يرجع الى هذه الكلمة « شرق » . لان المصرى يحس ان الشخصية القومية الشرقية تنهار بالتخاذ القبعة التي تمتاز بها الشخصية القومية الغربية وكلمات الغيبات توحى عقائد غيبية تعين للمؤمن بها سلوكاً يتنافى مع المنطق ويؤخر عن تحقيق النجاح . وكثيراً ما يقعد أحدنا في الترام فيجد جاره وهو يتلو كلمات غيبية يريد أن يحقق بها غاية اجتماعية أو اقتصادية . فبدلاً من أن يعتمد الى المنطق فيدبر الوسائل المادية والشخصية ، يتلو هذه الكلمات ، وكأنه - كما كان يفعل البابليون - يستوحى النجاح من النجوم والكواكب

ومن الأحافير اللغوية كلمات « الدم » ، « والثأر » « والعرض » في بعض مديريات الصعيد . فان هذه الكلمات تؤدي الى قتل نحو ثلاثمائة امرأة ورجل كل عام . ولا بد ان بعض القراء سيثب الى القول بان

هؤلاء القملة يذودون عن شرفهم . وكل ما أستطيع أن أردّ به هو ، ان
سكان الوجه البحرى لا يقتلون مثل هذا العدد من الرجال والنساء
لاجل « العرض » « والثأر » . فاما ان السبب انهم لا يستعملون
هاتين الكلمتين فى حديثهم كما يفعل أهل الصعيد ، واما انهم أقل
اجراماً بطبيعتهم . والفرض الأول هو المعقول

وهناك أحافير لغوية كثيرة فى الشعر العربى القديم . فان الشاعر
كان يعيش فى جو تلامه كلمات معينة . فلما انقطعت الصلة بيننا وبين
هذا الجو صرنا نجد هذه الكلمات غريبة عن أذهاننا وقلوبنا . فهى
لا تضىء بصيرتنا ولا تنبه ذكائنا ولا تحرك خيالنا . انظر مثلاً الى الحذاء
وكيف اتصلت معاني الفعل من هذه الكلمة بكثير من الشعر والنثر وأدت
الخدمة الادبية فى التعبير الحسن قبل الف سنة . ولكن من يحاول
استعمالها فى عصرنا انما يستعمل كلمة من الاحافير اللغوية التى يجب
أن يجد مندوحة عنها فى استعارات وعادات عصرية تلبس مجتمعا
واللغة التى تلبس مجتمعا هى لغة السوق والبورصة والمكتب
والمصنع والنادى والبيت والكتاب والجريدة والمجلة والمنبر والمدرسة .
أما اذا انفصلت واقتصرت على الكتاب وهجرت المجتمع فصار لنا
لغتان ، فان لغة المجتمع ستبقى حية ولكن لا تجد العناية التى يستحقها
الحى فهى تعيش فى وكس وضعف . وتبقى اللغة الاخرى كأنها أحافير
تحفظ وتصان كما تصان لغة الكهنة فى المعابد عند المتوحشين



كانت ولا تزال اللغة من أعظم الميزات البشرية لأنها جعلت التفاهم والتفكير ممكنين . بل جعلت الثقافة تحتزن وتورث من جيل الى آخر وتنقل من شعب الى آخر . ولكننا نجد ان اللغة كثيراً ما تقلب التفاهم الى التباس . فيسئ بعضنا إلى بعض لانه يجهل الغاية من كلامه . وكنا يعرف ظروفًا مرت به حين كان في حوار مع آخرين فكان يضطر الى أن يسأل : ماذا تقصد بهذه الكلمة ؟

• وهذا السؤال يدل على أن الكلمات تلبس بل تلتغز معانيها بين شخص وآخر، وانها لهذا السبب لا تؤدي الغاية الاولى منها وهي الفهم والتفاهم . واللغة الحسنة هي التي يقل فيها الالتباس أو ينعدم لأن لكل كلمة معنى معيناً لا يتجاوزه ولا يتسع لهوامش تحمل الشك أو الغموض أو الزيادة أو النقص كما هي الحال في كلمات كثيرة مائعة تسيل على الجوانب ولا تثبت في نقطة بؤرية

واللغة بما ورثت من عادات ذهنية قديمة كانت شائعة قبل آلاف السنين ، قد حملت الينا من المعاني ما لم نعد في حاجة اليه بل نحن نستضربه . انظر مثلاً الى السباب الديني في كلمتي كافر ونجس . فهاتان

كلمات قد ورثناها من عصر كانت العقيدة فيه أساس السلوك . ولم يكن الناس يستوون في الحقوق لأنهم كانوا يختلفون في العقيدة . ونحن نعيش الآن في عصر تقول فيه بالمساواة بين جميع الناس بصرف النظر عن عقائدهم ، ونطالبهم بأن يجعلوا المنطق مرشداً لحياتهم . ولكن هاتين الكلمتين تحدثان انفعالا يسيء الى السلوك العام في اية أمة . ونحن حين نسمى انساناً « كافرا » نحرك عاطفة خسيصة للكراهة كما نفعل حين نسمى سمكة « ثعباناً » ونحمل الناس على كرها

فإننا ضرر اللغة واضح . فأننا اذا دخلنا معملاً كيماويا وجمعنا فيه نحو عشرين شخصاً من سلالات وشعوب مختلفة وحاولنا ان نميز بتجارب علمية دقيقة بين الكافر والمؤمن ، والنجس والظاهر ، لما استطعنا . بل انا لنجد بالعلم انهم - كما يقول استقف برمنجهام في ظرف مشابه - سواء

وقل مثل هذا في كثير من الكلمات التي تحمل شحنات عاطفية سيئة . فإنها كثيرة في كل لغة . ونحن حين نحاول التفكير بالمنطق والتعقل في أى موضوع نجد هذه الكلمات تعترضنا وتسد علينا السبيل دون التفكير الناجع

ومن اضرار اللغة - وخاصة في لغتنا العربية - هذه المترادفات التي تبعث المعانى وتبعدنا عن الاحكام في التعبير . ويجب ان يكون من قواعد التعليم للبلاغة الجديدة ، لهذا السبب ، محاسبة التلميذ في

انشائه على الكلمة الزائدة ، كما نحاسبه على الخطأ الذي يقع فيه حين
يرفع مفعولاً أو ينصب فاعلاً

ولذلك يجب أن يكون المنطق أساس البلاغة الجديدة . وأن
تكون مخاطبة العقل غاية المنشئ بدلاً من مخاطبة العواطف . والبلاغة
بفنونها المختلفة كما هي الآن في لغتنا العربية تخاطب العواطف دون
العقل . وهذا ضرر عظيم . فإنا حين ننصح لأحد الشبان بأن يسلك
السلوك الحسن في الدنيا ويتخذ اسلوباً ناجحاً في الحياة نشير عليه بأن
يجعل العقل والمنطق دون العاطفة والانفعال هدفه ووسيلته في كل ما
يعمل . ولكن البلاغة العربية في حالها الحاضرة هي بلاغة الانفعال
والعاطفة فقط

وإذا جعلنا المنطق أساس البلاغة فإنا عندئذ نجعل قواعد المنطق
ونظريات اقليدس مما يدرس للتفكير الحسن . وهو الغاية الاولى
للبلغة . ونبين قيمة الارقام في التفكير الحسن . ثم تأتي بعد ذلك
الفنون وهي عاطفية انفعالية للترفيه الذهني . ولكن يجب أن نذكر
ان التفكير الدقيق بالمنطق اخطر واثن من الترفيه الذهني بالفنون

وإذا جعلنا المنطق أساس البلاغة فإنا سنبحث الكلمات من
حيث معانيها . ونبين كيف أن الناس كثيراً ما يخلطون بين الشيء
واسمه ، وان هذا الخلط يشقيهم لانه يبعدهم عن التفكير الناجع ويؤخر
نجاحهم ويعطل المجتمع عن الرقي

كنت في الريف فوجدت الفلاحين يذكرون كلمة « وريثة »
ويقصدون منها الى ثلاثة أشياء مكروهة. وهي البومة لانهم يتشاءمون
منها ، وابن عرس لأنه يفترس الفراخ ، والحمل لأنها ترضعهم . فهنا
ثلاث كلمات : البومة وابن عرس والحمل . قد اختلطت على الفلاحين
اسماؤها فصارت في اذهانهم مسميات . كأن الحمل ليست من جراثيم
حية تدخل الجسم وتأكل خلاياه بل هي « ح م ي » . وكذلك لم
يعد ابن عرس حيواناً يحتاج الى أن نصب له الشراك لكي نوقعه بل
هو كلمة تحدث ضرراً اذا لفظناها . وكذلك حملت البومة شحنة عاطفية
تتصل بالسحر القديم ، فاذا ذكرنا الكلمة فقد هيأنا الجو للخراب .
ولذلك يجب في عرف الفلاحين أن تقاطع هذه الكلمات الثلاث
وتقول بدلاً منها « وريثة »

وهذا المثل على سذاجته يجب أن ينبهنا الى علاقتنا باللغة . فأننا
كثيراً ما نخلط بين المسمى والاسم . واذا كنا لا تشاءم بالبومة ولا
تقول « غراب البين » فأننا نضفي على بعض الكلمات مثل
« الاشتراكية » معاني مكروهة حتى ان بعض الحكومات تمنع
ذكرها في الصحف والكتب . ولكنها مع هذا المنع لم تبتعد كلمة
مثل « وريثة » كما اخترع الفلاحون حين أرادوا التعبير عن الحمل
وابن عرس والبومة

وما يقال عن الكلمات المكروهة يقال أيضاً عن الكلمات

المحبوبة! فاننا كثيراً ما نخدع بكلمات لها بريق أو رنين أو ضجيج .
وكثيراً ما ننسى ان الكلمة ليست هي الشيء وانما هي رمز للشيء .
على ان البلاغة القديمة - بلاغة الانفعال والعاطفة - يمكن أن
نستخدمها للتوجيه الاجتماعي في الامة . ولكن مع الحذر من أن
يعود هذا التوجيه دعاية سيئة لأحد المذاهب الضارة ما



ضرر اللغة أيضا

اللغة الحسنة هي التي ، حين نعبّر بها ، نحس السيادة المنطقية على كلماتها . فلا نشعر انه كان يجب أن نزيد هنا أو نقص هناك . أو ان معنى الكلمة التي استعملناها قد يحمل القارى على غير ما قصدنا . وبكلمة أخرى نقول ، ان اللغة الحسنة هي تلك التي تتيح لنا التفكير المنطقي كما لو كانت كلماتها أرقاماً تؤدي لنا الحساب الذي لا يحمل حاصل الجمع أو الطرح فيه معنى الشك . أو على الاقل يجب أن تقارب هذه الحال من الدقة على قدر الامكان

والواقع ان العلوم لا تنضج الا حين تقاس بالارقام وتعبّر الاعداد عن حقائقها . ولا يزال كثير من علمي السيكولوجية والاجتماع بعيداً عن امكان التعبير عنه بالارقام . ولذلك تنقص قيمتهما بقدر هذا العجز عن استخدام الارقام في شرحهما وفهمهما

ونحن في مصر نسيء الى اللغة العربية ، والى شبابنا أيضاً ، حين نتخذ معهم طرقاً عتيقة في معالجتها يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ - اننا نعلمهم مبادئ البلاغة العاطفية بالمجاز والاستعارة والتشبيه الخ لكي يصلوا منها الى التعبير الفني أو الى الرفاهية الذهنية

بدلاً من مبادئ البلاغة العقلية بقواعد المنطق حتى يصلوا الى دقة التعبير وتوقى الاقتباس. والنتيجة من هذه البلاغة العاطفية هي الضرر لأنها تحدث لهم اتجاهًا نحو التزاويق والبهارج . فإذا طلب اليهم التفكير عجزوا

٢ - هذه البلاغة العاطفية قد حملت المعلمين على الاكبار من شأن الاقتباس ، حتى اننا كثيراً ما نرى في كتب الانشاء التي يتداولها التلاميذ عناية المؤلفين بما يسمونه « الجمل المختارة » وهي عبارات تحتوي كلمات لها بريق أو رنين أو ضجيج . والتلميذ الذي يكلف استظهارها إنما يفعل ذلك على حساب تفكيره ، فكأننا نقول له : « لا تنظر الى هذه الدنيا بروح الباحث المتفهم المفكر وإنما استظهر العبارات المزخرفة وتكلف التزاويق لأنها أحسن ما يمكنك أن تعبر به في الانشاء »

ونحن في هذا التوجيه نحمله على العناية بالقشور وترك الباب أي التفكير السديد

٣ - ضرر ثالث هو أيضاً نتيجة ما ذكرنا ، نغني به العناية بالاسلوب ومحاولة التلميذ أو الطالب أن يتعلم أساليب المتقدمين ويحاكي أحسنها وكأنها غاية الانشاء

ونحن في كل هذا نكاد نمجد الذهن . وعندما يشب هؤلاء الشبان يتجهون ، اذا افوا كتاباً أو كتبوا في صحيفة ، وجهة الاقتباس

والتزويق دون التفكير والبحث. وهذا نراه شائعاً في كتبنا ومجلاتنا . بل أحياناً نجد المصرى المتعلم الذى درس فى أوربا واصطنع المنطق العلمى فى تفكيره عاجزاً عن التأليف فى اللغة العربية لانه يجمل الاقتباس والتزويق ولذلك يحجم عن التأليف فنحرم من ثقافته مع حاجتنا العظيمة اليها

فكيف نعالج هذه الحال ؟

١ - نعالجها أولاً وقبل كل شئ بأن نجعل قواعد المنطق تقوم مقام قواعد البلاغة القديمة . أى دقة التعبير بدلا من تزويق التعبير . ومخاطبة العقل بدلا من مخاطبة العواطف

٢ - ونعالجها ثانياً بأن تقاطع الاقتباس فى الانشاء فى المدارس الابتدائية والثانوية . ونجعل التفكير يقوم مقام الاقتباس . فيجب الا تكون هناك « جملة مختارة » تحفظ عن ظهر قلب . بل يجب أن يعود الصبى أو الشاب كيف يفكر ويبحث ويطلع

٣ - يجب أن نعرف ان الاسلوب هو الناحية الاخلاقية للكاتب . فاذا كان الكاتب فنانا يعيش الحياة الفنية وينظر الى الدنيا خلال العدسة الفنية ، فاسلوبه فنى . واذا كان عالماً فأسلوبه علمى . واذا كان اجتماعياً الخ

واسلوب الكتابة هو بعض أسلوب الحياة . فالرجل المستقيم الصريح فى معاملاته يكتب فى عبارة صريحة وكلمات لا تقبل

الالتواء . فإذا طالبنا الصبي أو الشاب بأن يحسن الأسلوب في كتابته
فإنما نطالبه في الحقيقة بأن يتخذ أسلوباً حسناً في معيشته وإن يرقى
شخصيته . وإذا استقرت هذه القواعد في مدارسنا وتعلمها صبياننا
وشبابنا فإننا سنجد عندئذ المؤلفين المفكرين والصحافة النيرة المرشدة:
صحافة الشخصيات الكبيرة والتفكير العلمي .





طبيعة الكلمات هي الجمود ، وطبيعة الاشياء التي تعبر عنها هي التغير . فكل شيء في الدنيا - بل في هذا الكون - يتغير . والحياة في الحيوان والنبات هي أعظم المظاهر لهذا التغير . وهذا التغير على أقصاه في الانسان ، لأنه يعيش في مجتمع تتغير به أخلاقه وعاداته وآراؤه

ونحن في تفكيرنا نتخذ أسلوبين : الأسلوب الموضوعي حين نتجرد من احساسنا الشخصي أولاً نجد له مجالاً . كما لو قلنا : كرسى أو أسد أو شمس أو شارع . فكلنا على وجه التقريب يذكّر هذه الاسماء دون أى انفعال . وكلنا سواء تقريباً في ادراك صورها . ولذلك اذا كنا في حوار وذكر أحدنا الشمس أو الكرسي لم يحتاج الآخر الى أن يسأله : ماذا تعنى ؟ لان المعنى واضح

وهذه الكلمات موضوعية أى انها غير متأثرة بذواتنا . والمفكر العلمى يحاول على الدوام الوصول الى هذا الأسلوب الموضوعي في

التفكير، أى انه حين يبحث مشكلة يتجرد من احساساته وميوله
وما يحب وما يكره

ولكن هناك الاسلوب الذاتى ، أسلوب الاديب والفنان . فرجل
الادب يتحدث عن المثليات أو الجمال أو الذوق أو العظمة .
وهذه الكلمات جميعها ذاتية أى تعبر عن احساساته وانفعالاته .
ولذلك نختلف فيها كثيراً . فقد يقول احدا ان القناعة من فضائل
الفلاح ، فأردنا عليه ولى انفعالات نفسية : لا . بل هى من رذائله .
وقد يستمع أحدنا الى امرأة تغنى فيقول ، أن الاغنية حسنة . فيرد
آخر بأنها ليست أغنية وانما هى أغنوجة

ومن هنا نفهم ان الغناء والقناعة كلمتان ذاتيتان نختلف فيهما كثيراً .
اما الكرسي والشارع فكلمتان موضوعيتان لا علاقة لهما بانفعالاتنا
واحساساتنا ولذلك لا نختلف فيهما

فحين اسمع احدهم يقول « امرأة جميلة » فانى افهم كلمة امرأة ولا
اختلف معه . لأن الكلمة موضوعية . ولكنه حين وصفها بالجمال
قد تعرض للمناقشة لأن الكلمة ذاتية . اذ قد تكون فكرتى عن
الجمال غير فكرته

والكاتب الذكى هو الذي يحاول أن يكون عامياً موضوعياً
وليس عامياً ذاتياً . ولكن يجب أن نذكر أن اللغة ستحتوى على

الدوام كلمات ذاتية تعبر عن الاداب والفنون. وهى هنا ليست عامية ولكنها تعبر عن ذاتية متميزة

انظر مثلاً الى قول أحدنا : هذا الصبي ذكى

فان وصف الذكاء هنا قد يكون ذاتياً ، لان المتكلم ربما وصفه بذلك لأنه استخف ظله ، أو لأن هذا الصبي قد خدمه ، أو لأن المتكلم نفسه ليس ذكياً . فكلمة « ذكى » هنا ذاتية . ولكن السيكولوجيين استطاعوا أن يجعلوا هذا المعنى موضوعياً . فهم يقولون : « هذا الصبي يبلغ معدل ذكائه ١٠٧ » وذلك بعد قياس مضبوط وكلمات الشرف ، والثقافة ، والعبادة ، والفاقة ، والثراء ، والعدل ، والشجاعة ، والجمال ، والقناعة ، والتكبر ، والغضب ، والتسامح ، كلها كلمات ذاتية تعبر عن انفعالاتنا الشخصية ولا تعبر عن حقائق موضوعية مثل الكرسي أو الشارع

والتفكير السديد ينقلنا ، أو يحاول أن ينقلنا ، من النظر الذاتى للاثياء الى النظر الموضوعى . ومن الوصف المائع العام الى الوصف بالارقام ، كما رأينا فى معدل الذكاء فى السيكولوجية . وكثير من الفهم السيئ للفلسفة القديمة - وما يلحق بها من أدب ودين - يرجع الى انها عاجت شئون الدنيا بكلمات ذاتية قد اختلفت معانيها بعد مرور الف أو ألفى سنة

وقد ارتقت الامم بكلمات ذاتية مثل مروءة ، وشرف ، وشهامة ،
وحياء ، وأنفة ، كما انحطت بكلمات ذاتية أخرى مثل شماتة ، وكفر ،
ونجاسة . ولكن اذا صرفنا النظر عن الارتقاء والانحطاط ، فاننا نجد ان
الكلمات الذاتية كثيراً ما تبعث على الالتباس والفهم السيء . ومن
هنا الاختلاف الدائم في الدين والفلسفة والاداب والفنون . والاتفاق
التام في العلم ، لأن كلمات العلم موضوعية ولذلك فإن أسلوب التفكير
فيه موضوعي .





لغتنا تستوى وسائر اللغات العصرية في نقص التعبير عن المعاني الذاتية . وهذا النقص سوف يبقى - كما قلنا - الى أن نهتدى ، نحن وسائر الأمم ، الى اللغة العالمية ، أى اللغة التى تنقل المعنى من « الذاتية » الى « الموضوعية »

فبدلاً من أن تقول : هذا الصبي ذكى ، تقول : يبلغ ذكاء هذا الصبي ١١٥

وبدلاً من أن تقول ، كان يوم أمس حاراً مرهقاً ، تقول : بلغت الدرجة المئوية للحرارة أمس ٣٩

وقد سبق أن قلنا أيضاً أن العلم لا تنضبط قواعده الا اذا عبر عنه بالأرقام . وقد يتساءل القارئ فى أسف واكتئاب : أى دنيا هذه التى يعيش فيها الناس بلغة الأرقام ؟

ولكن يجب أن نذكر أن العالم لا يزال فى بداية التعبير اللغوى ، وأن الفرق بيننا وبين المتوحشين فى اللغة انما هو فرق الدرجة والتفاوت وليس فرق النوع والاختلاف . فالمتوحش يعبر عن حاجاته بنحو ٥٠٠ كلمة ونحن نعبر بنحو ٥٠٠٠ أو ٥٠٠٠٠ . وهو يقول عما زاد على العشرة انه « كثير » . أى انه يعبر بكلمة واحدة عن اعداد المئات والالوف والملايين . وربما لا يزال متعلقاً بطريقة « الاحصاء »

بالخصا كما كنا نحن قبل ألوف السنين . ولكن مع هذا لا تزال في لغتنا العربية ولغات الامم العصرية كلمات تعبر عن احساسات مختلفة تتغير معانيها ولا تتغير الكلمة التي تدل عليها . ونحن في هذا مثل المتوحش الذي يسمى مازاد على العشرة « كثير » أنظر مثلاً الى كلمة « أحب »

فالرجل يحب المرأة هذا الحب البيولوجي الذي يقصد منه الى التناسل . والزوج يحب زوجته . واحساس الزوجين للحب يرتفع على المستوى البيولوجي . فهنا اختلاف

ولكن أحدها يقول إنه يحب الملوخيا . فهل كلمة الحب التي تستعمل للتعبير عن العلاقة بين الرجل المرأة هي نفسها التي يصح أن تستعمل للتعبير عن العلاقة بين الرجل والموخيا ؟ وهل الاحساس واحد في الحالين ؟

والانجليز يفصلون بين هذين المعنيين باستعمالهم Love للاول و Like للثاني

ألسنا نرى هنا ان كلمة « أحب » كلمة عامة تدل على احساسات مختلفة ولكننا نطلقها عليها جميعها لأننا كالمتوحش حين يسمى مازاد على العشرة « كثير » ؟

ثم هناك حب الأم لأطفالها . ثم حب الأطفال للأم . وكلاهما أيضاً مختلف

ثم حب الانسان لله . ثم وصية الدين لنا بانه يجب أن نحب بعضنا بعضاً . ثم حبنا للمال . ثم هناك الحب بين الحيوان . بل ان السمكة نفسها لتحب أطفالها وتذود عنها

فهل يصح أن تؤدي كلمة الحب كل هذه المعاني المختلفة ؟ ألا يدل قصور هذه الكلمة على قصور اللغات العصرية أرقاها وأدناها، واننا مازلنا في المرحلة الأولى من التعبير ؟

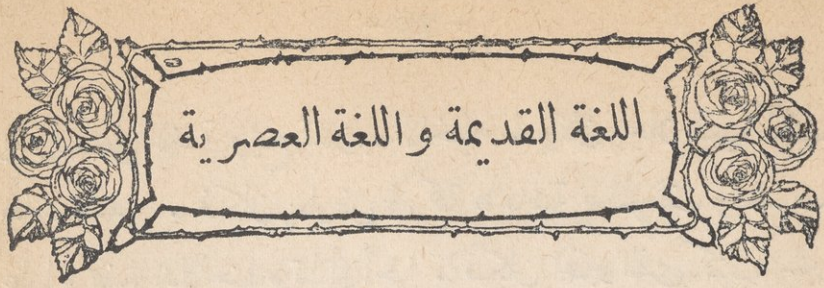
أجل . أن اللغات جميعها لا تزال في طور التجربة ، وستبقى كذلك مادام عقل الانسان يرتقى ويطلب الوضوح مكان الغموض ، والمعنى الموضوعي مكان المعنى الذاتي . ويكاد ارتقاء السيكلوجية يتوقف على هذا وحده ، أى على تفسير الاحساس الذاتي تفسيراً موضوعياً . ومن هنا الصعوبة الكبرى في ترجمة الشعر والدين والادب . لأن هذه الثلاثة تتصل بالمعاني الذاتية التي يشق على أبناء أمة أجنبية أن يفهموها لأن البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها قد اختلفت وأحدثت عواطف مغايرة لما كان في البيئة الاصلية التي وضع فيها الشعر والدين والادب

وكلمة « الحب » واحدة من مئات الكلمات الذاتية التي تتسع كل منها لجملة صور مثل كلمات الفهم ، والجمال ، والألم ، والسرور ، والحزن ، والنشاط ، والكراهة ، والحنان ، والحر ، والبرد ، والايمان ، والتعقل ، والوهم ، والغيرة .

وهناك كلمات اخر تتوهم منها انها موضوعية ولكنها تحدث لنا
احساسات وانفعالات ذاتية ، فتلتبس معانيها وتختلف في مغازيها .
مثل الديمقراطية والحرية والاتوقراطية والاشتراكية والتعصب . فانها
جميعها تدل على حالات نراها في شعب أو جماعة . وكان يجب أن
تكون موضوعية . ولكننا تقحم احساساتنا الشخصية فيها فتعود وكأنها
ذاتية

فلو قيل لنا ان الهندوكيين يكرهون البوذيين في الهند ويؤذونهم
استطعنا أن نفهم معنى التعصب هنا ونحكم حكماً موضوعياً نزيهاً وذلك
لأننا لسنا هندوكيين أو بوذيين . ولكن عندما يقرأ المسلم تاريخ
الحروب الصليبية يجد نفسه مختلفاً كل الاختلاف مع القاريء
المسيحي . لأن كلا منهما ينظر نظراً ذاتياً لمعنى التعصب





كل من يعرف اللغة الانجليزية يدرك الفرق العظيم بين اللغة التي كان يستعملها شكسبير حوالى سنة ١٦٠٠ وبين اللغة الانجليزية الآن . وهذا الفرق هو فرق النمو والتطور . فان اللغة الانجليزية لم تجمد وتتحجر ولم يلتمس الكتاب « جملا مختارة » من شكسبير لكي يزخرفوا بها انشاءهم بل أخذت اللغة تتميز بالتنقية والتنقية حتى اختلفت اختلافا كبيرا من لغة شكسبير مع ان المدة بينهما لا تزيد على ٣٤٠ سنة ومما يذكر في تطور اللغة الانجليزية ان الملك جيمس حين زار كنيسة سان بول السكاتدرائية عقب انتهاء المهندس من بنائها عبر عن إعجابه بها بهذه الكلمات Amusing, awful, artificial فسر المهندس غاية السرور . ولكن هذه الكلمات قد انتقلت في عصرنا من معنى الاستحسان الى معنى الاستقباح والاستهجان والاستهزاء وهذا هو التطور . وهذا هو الرقي . فان اللغة الحية التي يستخدمها مجتمع حي يجب أن تتطور . ومحاولة تجميد اللغة والتزام عباراتها القديمة وكراهة إيجاد الكلمات الجديدة انما تعنى تجميد الاذهان وعرقلة التفكير الناجع

حين كنت أحرر في احدى الجرائد كان بها شيخ مصحح

يشرف على اللغة ويمنع تسرب الاخطاء . وكان رجلا طيب القلب جامد الذهن . فكان يعارض في كلمة « ماهية » الموظف ويضرب عليها ويضع بدلا منها مرتبا أو أجرا . فكان المخبر الذي كتب الخبر يرى عقب طبع الجريدة ان وكيل الوزارة أو رئيس القلم قد زيد « أجره » فيهرول الى الشيخ ويصرخ ويهيج . ولكن الشيخ يصر على ان كلمة « ماهية » لم ترد قط في المعاجم بمعنى « أجر » . ولا عبرة باصطلاح الحكومة على المعنى الجديد لها

وهذا هو النظر الجامد للغة . ولو ان كتاب العرب القدماء كانوا قد التزموا هذا الجمود لقصرت اللغة في الاداء . ولكن في اللغة العربية أكثر من ثلاثة آلاف كلمة رومانية واغريقية وفارسية . وهذا زيادة على المعاني الجديدة التي ألحقت بالكلمات القديمة فتخصصت الكلمة لمعنى معين بعد ان كانت عامة

وهذا هو ما نفعل نحن الآن . فقد خصصنا

الدستور للنظام الاساسى للدولة

والصحيفة للجريدة أو المجلة

والغارة لهجوم الطائرات

والعلم للمعارف التى يمكن امتحانها بالتجربة أو ما يساويها

فى التحقيق

والاذاعة لما يصدر عن المحطات الاشعاعية

والجامعة لمجموعة كليات مستقلة في ثقافتها الى حد ما ، الخ .
وبهذا التخصص ، وبإيجاد كلمات جديدة ، مرت لغتنا بعض
المرونة وخدمت مجتمعنا . ولكن مشكلاتنا اللغوية لا تزال كثيرة وما
زلنا نلتزم عبارات مقتبسة يعافها الذهن الذكي . ومرجع هذه العبارات
تلك البلاغة العاطفية الانفعالية التي تعلمناها وغرست في نفوسنا قيمة
مزيقة للاستعارة والمجاز

فما زالت صحفنا مثلاً تقول :

عرض على بساط البحث ، بدلا من ، عرض للبحث	
وخاض غمار القتال » » قاتل	
حمى وطيس القتال » » حمى القتال	
دارت رحي المعركة » » دارت المعركة	
وضعت الحرب أوزارها » » انتهت الحرب	
لتعزيز أواصر الثقة » » لتعزيز الثقة	
صب جام غضبه » » صب غضبه	
أطلق سراحه » » أطلقه	
تجاذب أطراف الحديث » » نتحدث	

وقلّ منا من يقول : الحرب الضروس أو الموت الزؤام . ولكن
العبارات السابقة التي ذكرت لا تزال ترى كل يوم في جرائدنا على
الرغم مما فيها من استعارات ومجازات يمكن أن نستغنى عنها ، بل على

الرغم من كلمات نحتاج الى مجهود كبير لتفسيرها لصبياننا مثل : وطيس .

اوزار . اواصر . جام . رحى

وفي استغنائنا عن هذه العبارات اقتصاد ذهني ومادى . ويجب

ألا يفهم القارئ أننا نعارض الاستعارة كائنة ما كانت ولكننا نعارضها :-

١ - حين يمكن الاستغناء عنها فيكون الاقتصاد الذهني والمادى

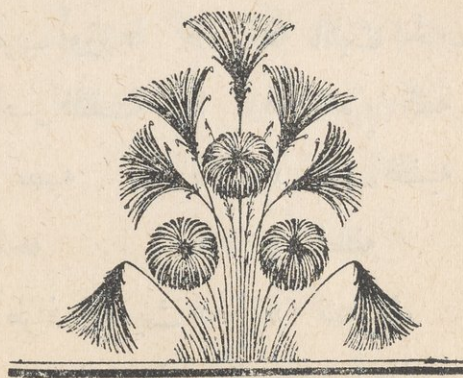
كما يتضح من الامثلة التى ذكرنا اذ الغيناها جميعا ولم ينقص المعنى

٢ - وأيضاً حين تعكس لنا مجتمعاً يخالف مجتمعنا . فان كلمات

الوطيس والجام والرحى لا تتصل بمجتمعنا العصرى كما كانت تتصل

بمجتمع العباسيين . واولى من هذه الكلمات كلماتنا العصرية مثل

قطار أو موطر أو تلفون الخ





خدمت اللغة العربية مجتمعين عريين أولهما المجتمع البدائي حين كان العرب قبائل يرحلون وينتجعون . وقد ورثنا نحن من هذا الطور آلاف الكلمات عن الصحاري والابل والخيول والغزو والخيام . ولكننا لم نرث شيئاً من هذا الطور يتعلق بالزراعة أو الصناعة أو الحكومة . ثم خدمت اللغة مجتمعاً عربياً آخر هو المجتمع الحضري . وإذا قلنا « المجتمع الحضري » فإننا نعني مجتمع بغداد، لأنها كانت بؤرة الثقافة العربية نحو أربعة قرون . وكانت مدن مصر وسوريا والمغرب والأندلس والحجاز تستوحىها وتستمدّ منها والمجتمع البدائي الأول لا نكاد ننتفع بتراثه اللغوي . أما المجتمع الحضري الثاني فهو رأس المال الذي نستغله ونرجع إليه ونستمد منه . ولغتنا ما زالت هي لغته بكلماتها ومعانيها مع تغيير قليل في بعض المعاني وزيادات في بعض الكلمات . وقد خدمت اللغة هذا المجتمع الخدمة الصادقة . ولهذا السبب نفسه، أي لصدق الخدمة التي قامت بها اللغة للمجتمع العربي أيام الأمويين والعباسيين والأتراك، قد حملت كلماتها إلينا جواً غريباً عنا . ونحن نشعر بهذه الغربة حين نحاول وصف

مجتمعنا ونبحث عن الكلمة « الجوية » التي تؤدي معنى نحتاج إليه في السوق والبورصة والمكتب والمصنع والمداولات السياسية والحقوقي المدنية والعلوم المادية الخ . وحملت الينا عادات ذهنية مازلنا نستضربها لانها لم تعد تتفق وحياتنا العصرية . واليك شرحا موجزا :
١ - كان المجتمع العربي ارستقراطياً يعيش بكد العامل كما كان الشأن في اوربا مدة القرون الوسطى . أو بكد العبيد . وكان لذلك يحتقر العمل اليدوى . وكانت الطبقة المتوسطة معدومة . ولذلك لانستغرب اقتراح أحد الادباء مدة العباسيين ألا يباع الورد للسوقة لأن هذا الزهر أجل من أن تتناوله يد العامل الخسيس . ولانستغرب أيضاً أن يكون أوفى الكتب الادبية التي نعتمد عليها في تفهم المجتمع العربي القديم هو كتاب « الأغاني » وفصوله هي مجالس الاثرياء والخلفاء مع المغنين والمغنيات . واسم الكتاب وموضوعه يدلان على ارستقراطية الادب الذي نشأ لخدمة المجتمع العربي الارستقراطى ، ثم ارستقراطية اللغة التي تعبر عنه

ومجتمعنا الآن ديمقراطى أو نحن نحاول أن نجعله كذلك وتنشد الديمقراطية فى الحكومة والعائلة والمدرسة . ولكن التراث اللغوي الارستقراطى الذى ورثنا من العباسيين لا يساعدنا على ذلك

٢ - ثم كان هذا المجتمع حريباً . فان الصراع بين الدولة الرومانية والدولة العربية أحال اللغة الى خدمة الحرب . فزكت الخطابة والشعر .

خطابة الحرب وشعر الحرب . وكثرت كلمات العاطفة والانفعال
- الكلمات الذاتية - لان المجتمع العربي كان معسكراً يحتاج رجاله
الى مايملاً قلوبهم حماسة . وقد ورثنا هذا التراث مع ان مجتمعا سلمى
يحتاج الى كلمات السلم وليس الى كلمات الحرب

٣ - كان المجتمع العربي القديم يعيش فى ظل حكومة استبدادية
لم تعرف قط معنى البرلمان أو المجلس البلدى . ولذلك نحن نحمل
عبء الكلمات العربية التى خدمت هذا المجتمع الاستبدادى ونحاول
تحميلها المعانى الديمقراطية الجديدة أو نصطنع الكلمات الجديدة مثل
« برلمان » اسكى نؤدى معنى لم تعرفه الثقافة العربية القديمة

٤ - لم يكن المجتمع العربي القديم يعيش على المعارف والمنطق
الا فى أقله ، وكان يعيش على العقائد والغيبيات فى اكثره . ولذلك
يشق علينا فى مجتمعنا أن نؤدى المعانى للمعارف المادية لأن لغتنا حافلة
بكلمات الغيبيات والعقائد دون كلمات العلوم الجديدة

والنتيجة لهذه الحالة اننا نجد صعوبات لغوية خطيرة كما حاولنا
معالجة المعارف العصرية . لان لغتنا قضت شبابها وهى تلابس
مجتمعا ارستقراطياً حريباً عقيدياً فكثرت مصادرها اللونية التى تعبر
عن حاجات هذا المجتمع . فكانت لغة الخطابة والشعر والغيبيات
بل لغة اللهو والاغاني والقتال . ولكننا نحن نختلف من العباسيين

والامويين من حيث ان حضارتنا قد صارت تنشد الديمقراطية
وتنهض على الصناعة وتعتمد على المعارف والماديات دون العقائد
والغيبيات

ومن هنا صارت البلاغة القديمة بلاغة الارادة تعبر عن شهوات
ورغبات . وليست بلاغة المنطق التي تعبر عن العقل والذكاء . كما
حفلت اللغة برواسب من الكلمات التي لا تنتفع بل نستضرّ بها كلما
حاولنا تحريك المجتمع . لان التحريك هنا تعكير



الكلاسيكية داء الادب العربي

كل لغة تحتاج الى شيء من الكلاسيكية نغى النزعة التقليدية حين يتصل الاديب بأسلافه من الأدباء يتذوق مؤلفاتهم وينغمس في أمانيهم ومثلياتهم ويقتنى بذلك التراث الذهني السابق . وفي كل عصر نجد الكاتب الذي ينزع الى تليده والكاتب الذي ينزع الى طريفه . وهما ليسا خصمين ولكنهما متعارضان . وقد ينتفع أحدهما بالآخر اذا لم يكن الفرق بين الطارف والتليد ، عظيماً ، كما يكون أحياناً أيام الثورات والانفجارات الاجتماعية . ففي هذه الايام تتقهقر النزعة التقليدية وتبرز النزعة التجديدية . ويحدث العكس ايام الاستقرار حين تنفع الامة بالكلاسيكية وتطمئن الى التقاليد بل تتعلق بها وتخشى التجديد والتغيير . وبدهى لهذا السبب ان الكاتب الذي ينغمس في الكلاسيكية انما يفعل ذلك لانه يعيش في بيئة أدبية راضية عن التقاليد كارهة للتجديد . والكلاسيكية ليست في الواقع شيئاً أكبر أو أصغر من التقاليد الفكرية والأدبية لما كان فولتير في انجلترا ذكر له أحد الناقدين الانجليز قول شكسبير في رواية هامليت

« فما تحرك فأر »

واستحسن هذا التعبير لما فيه من بساطة . ولكن فولتير أجابه بقوله : « ماذا تقول ؟ ان الجندي يستطيع أن يجيب هذه الاجابة في ثكنته . ولكن لا يجوز هذا على المسرح امام اسمى الاشخاص في الأمة أولئك الذين يتحدثون بلغة شريفة . ولذلك يجب أن يجدوا مثل هذه اللغة عندما يستمعون »

وكان فولتير هنا كلاسيكياً تلديدا ينشد الفخامة والروعة في الكلمات . وكان قد ترك فرنسا الملوكية الرجعية التي يتلأأ فيها عرش لويس الرابع عشر أو الخامس عشر تحيط به نجوم من النبلاء والامراء والسيدات المزينات باللالىء التي جمعت أثمانها من أقوات الملايين من الشعب . وعاش فولتير في هذا الوسط . ومع انه ثار عليه بعد ذلك ، فانه كان قد تلبس بمزاجه ونزع نزعته . فكان الكاتب التليدى . كما كان جان جاك روسو الكاتب الطريفي . واوربا لا تزال الى الآن في مشكلاتها ومثلياتها تستنير بضوء روسو فهي ثائرة متغيرة لما تستقر ولكن انجلترا التي زارها فولتير ، والتي الف فيها شكسبير ولم يأنف من ذكر الفأر في درامة عالية مثل هامليت ، انجلترا هذه لم تكن رجعية اذ لم يكن فيها عرش مستبد كالعرش الفرنسى . وكانت قد استقرت فيها الحرية والبرلمانية بعد قطع رأس تشارلس الاول . ثم كانت الحركة التجارية قد اوجدت فيها طبقة متوسطة طريفة يحضر أفرادها دور التمثيل . وكل هذا جعل الوسط الأدبي غير تليدى

وداء اللغة العربية في جميع الاقطار العربية هو داء الكلاسية
الرجعية التقليدية . وليس هذا الداء جديداً . فانتا نجد أثره مثلاً حين
تقرأ عن رفض احدى قصائد أبي نواس وهو المجدد العظيم في مباراة
أدبية على ما نذكر . وكذلك لما دخل جنكيز خان بغداد الغنى كمات
التفخيم التقليدية وألح في وجوب التبسيط اللغوى . وهنا يقول ابن عرب
في كتابه « فاكهة الخلفاء » :

« فكان في المكاتبات ... لا يزيد على وضع اسمه ...
من غير محازات واستعارات ... وكذلك الأمراء والوزراء ...
ولما فرغ من ترتيب هذه القواعد الملعونة وخرج بها على خلاف
الشريعة الميمونة ... » الخ . الخ .

فنحن هنا ازاء رجل مغولى دخل الاقطار العربية وليس له فيها
تقاليد اجتماعية أو دينية أو أدبية فعمد الى تبسيط اللغة فلا حضرة
ولا جناب كما يقول مؤلف فاكهة الخلفاء الذى يحنق الى درجة انه
يجد في هذا التغيير فى اللغة مخالفة « للشريعة الميمونة »

أى انه لم يختلف هنا مما يقول الدكتور زكى مبارك حين ألف كتابه
عن « اللغة والدين والتقاليد » حيث يرى الارتباط بين الثلاثة وحيث
يكره - أشد ما يكره - حرية المرأة حتى انه ذكر انها تستحق الضرب
بالخذاء على رأسها وان والده كان يفعل ذلك بزوجاته . وهو هنا ينساق
فيما يتوهمه من تقاليد عربية

وحين أسست الحكومة المصرية مدرسة دار العلوم وقصرت
الملتحقين بها على المسلمين دون المسيحيين أو اليهود انما نظرت
أيضاً هذه النظرة أى أنها رأت ارتباط اللغة بالدين والتقاليد . فاللغة عند
زكى مبارك ، وابن عرب ، والحكومة المصرية ، ليست لغة الديمقراطية
والا تومييل والتلفزيون بل هى لغة القرآن وتقاليد العرب . ولا بد ان
ابن عرب يفرح ويضطرب ، لو أنه بعث فى عصرنا ، حين يجد اننا
خالقنا جنكيز خان « الذى كان فى المكاتبات ... لا يزيد على
وضع اسمه ... من غير مجازات واستعارات » ذلك لأننا نقول الآن
صاحب المعالى وصاحب السعادة ...

وخلاصة القول ان الداء الاصيل فى اللغة العربية هو الكلاسيكية
التقليدية . وهى لذلك لا تكتسب طريقاً لأنها قانعة بتليدها . وهذه
حال يجب ألا نرضاها نحن . لأنها تحول دون أن نكون أمة عصرية
وصاحب المعالى وصاحب السعادة وضرب المرأة بالحذاء على
رأسها لن ينجينا من مثل جنكيز خان بأسلوبه العصرى

ويستطيع القارئ الذكى أن يردّ هنا بأنه عند ما يتغير الوسط
الاقتصادى يتغير الوسط الاجتماعى . أى عند ما نصير أمة صناعية لا بد
أن تتغير اللغة وتقبل الطريف

وهذا صواب . ولكن قبل ذلك يجب أن نعرف لماذا نكره
الغاء الاعراب وتبسيط التعبير (فأر شكسبير) واصطناع اللغة العامية
واتخاذ الخط اللاتينى ... وأيضاً حرية المرأة



في سنة ١٨٧٠ كانت فرنسا يتسلط عليها الامبراطور نابليون وكان مفكروها يكرهون النظام الامبراطوري ويطلبون الغاء العرش واعادة الجمهورية . فكان مما كتبه الاديب الكبير فلوير قوله ان الشعب الفرنسي يتعلق بالامبراطورية لانه مخدوع باسم نابليون . أى ان اسم نابليون الاول قد ترك في التاريخ رنيناً ودويّاً كانا لا يزالان يجدان الصدى في النفس الفرنسية . ولذلك فان كلمة « نابليون » كانت توحى الى الشعب حباً وتعلقاً في غير مكانهما لأن نابليون الثالث لم يكن يستحقها سنة ١٨٧٠

وفلوير على حق . فان للكلمات ايحاء سياسياً أو اجتماعياً أو دينياً . فما هو أن ننطق بالكلمة أو نخطرها بيالنا حتى تنطلق طائفة من العواطف تحرك ارادتنا وتعين سلوكنا وتفكيرنا . وقد سبق أن قلنا ان كلمات الدم ، والانتقام ، والثأر ، تحدث نحو ثلاثمائة جناية في بعض مديريات الصعيد . كما ان كلمتي شرق وشرقيين تحدث بين بعضنا صدودا عن الحضارة العصرية كأننا في حرب مع الاوربيين وان هذا الصدود يؤذينا في تطورنا . ولا يزال عندنا من الكلمات

والعبارات ما يوحى إلينا إحياء سيئاً يتعارض مع الروح الديمقراطية الذى نرجو أن نعممه فى المجتمع والحكومة والعائلة . من ذلك مثلاً قولنا « أبناء السيوتات » أو « حرم فلان » أو « أمّ فلان » ولكل كلمة يحاؤها الذى يقوى أو يضعف . وكثيراً ما ينعدم التفكير لانعدام الكلمة . فان المبشرين الذين عاشوا بين القبائل البدائية أو المتوحشة فى أفريقيا السوداء كانوا يجدون مشقة عظيمة بل أحياناً استحالة فى شرح الديانة المسيحية لأن لغة هذه القبائل لم تكن تحتوى كلمات تدل على الله أو الجنة أو جهنم أو النعمة أو المجد أو الصدق

وكثير من فضائلنا وورثائنا معاً يرجع الى الكلمات . فلو لم تكن هناك كلمتا الصدق والكذب لكان من الشاق علينا أن نفهم معنيهما . وكلمة « الشماتة » توحى إلينا أسوأ العواطف

اعتبر مثلاً أيها القارئ طيباً وحشاشاً يتحدث كل منهما عن الاعضاء التناسلية . فالاول يذكر كلمات لا تحرك عاطفته أو تهكمه أو سخريته . ولكنها تحرك ذهنه . لأنها كلمات يقصد منها الى المعارف . ولكن الحشاش يذكر كلمات توحى العاطفة الجنسية أو التهم أو السخرية . فالموضوع هنا واحد . ولكن اختلفت معانيه باختلاف الكلمات التى تستعمل فى وصفه . وهنا يجب أن نذكر ان كثيراً من توجسنا من الحب واختلاط الجنسيتين يرجع الى اننا نستعمل كلمات

الحشاشين سواء اكانت فصيحى أم عامية فى وصف هذه العلاقات الجنسية بدلا من كلمات العلماء أو المثقفين . ولذلك كما فكر بعضنا فى الحب أو اختلاط الجنسین على الشواطىء أو العرى خطرت بذهنه كلمات توحى البذاء أو العهر فيصد ويصرخ فى الدعوة الى انفصال الجنسین فأحدنا المتعلم المثقف العصرى حين يفكر فى الاستحمام والشواطىء واختلاط الجنسین تخطر بباله هذه الكلمات : الصحو : الاوزون . فيتامين . السباحة . هواء البحر المعقم . المؤانسة . الرياضة . النحافة . الرشاقة

وأحدنا الآخر غير المتعلم أو بالأحرى غير العصرى تخطر بباله هذه الكلمات : الارداق ، الاكفال ، البطن المتعكن ، وصدر مثل حق العاج رخص ، وكلمات أخرى تخطر ببال الحشاشين فتؤدى الى تفكير الحشاشين . ثم الى الصراخ بالعيب والعار على الشواطىء والحب نفسه يتكيف بالكلمات التى تستعمل فى وصفه أو شرحه بين المحبين . فهو عهر بين شاب وبنی . وهو كذلك بين الحشاش وزوجته . ولكنه يرتفع الى الطهر والشرف بين المثقفین الذين يستعملون الكلمات السامية المهدبة

والايحاء الحسن من الكلمات كثير أيضاً . فانظر الى قولنا : « الروح الرياضى » وكيف تؤثر هذه العبارة كالسحر وتبعث عاطفة حسنة فى الشاب حين يحجور أو يغضب . وانظر الى قولنا : يجب أن

تكون جنتلمانا . فان هذه الكلمة الانجليزية تجمع من المعانى مالم
نوفق نحن ولا غيرنا مثل الفرنسيين أو الايطاليين الى مثله باحدى
كلماتنا . ولذلك استعملت فى اللغات الثلاث

ولما خرجنا نحن من ظلام القرون الوسطى وجدنا من المعانى فى
اللغات الاوربية مالم نجد ما يقابله فى لغتنا فاخترنا الكلمات التى
تؤديها . قفلنا : عائلة . وتطور . ووطنية . وشخصية . ودستور . وثقافة .
وعالمية . ومسؤولية . واخاء

وهذه الكلمات احاطتنا بجو حسن من التفكير العصرى يجعلنا
نتابع تطورات العالم ونفهم مشكلاته . ولم تكن هذه الكلمات التى
ذكرنا معروفة فى لغتنا . أو كان بعضها معروفا ولكنه لا يحمل هذه
المعانى العصرية التى نلصقها بها مثل ثقافة ، واخاء ، ودستور ، التى نجدها
فى المعاجم ، ولكننا لانجد لها معانيها العصرية

واذ كر أيها القارئ الجو السيئ الذى يبعث تفكيراً سيئاً
فى صبياننا عند ما يركبون الترام أو يسيرون فى الشارع فيسمعون الباعة
الجاللين يشتم بعضهم بعضاً بذكر الاعضاء التناسلية بكلماتها الفجة .
فان الصبي ينشأ وقد تلبس بالمعانى الفجة التى لهذه الكلمات . وهو
عند ما يبلغ الشباب يجد ان علاقته بالمرأة مكيفة مصوغة الى مدى
بعيد بهذه الكلمات . وهو يشقى بهذا

والصبي حين يقرأ المجلات الاسبوعية تعلق بذهنه كلمات من

النكات الجنسية تعيّن له السلوك الجنسي في المستقبل أو تؤثر فيه .
ذلك لان لكل كلمة ايجاءها الذي يندس في العقل الباطن ويكون
لنا عادات في التفكير والاخلاق . ويجب لهذا السبب أن نحيط
أبناءنا بالكلمات المثلث التي تبث التفكير الحسن . كما يجب علينا نحن
الكبار ألا نستسلم لايحاء الكلمة بل ننظر من خلالها الى المعاني الخفية
التي لا تتفق والحقائق فميز بين الكلمة الذاتية وبين الكلمة
الموضوعية . وليس هذا بالمجهود اليسير . وقل منا من ينجح فيه .
ومعظمنا ينجح في الكشف عن قليل من الكلمات وتحري محتوياتها
من غموض أو وضوح ومن خير أو شر . ذلك لأننا تسلم الكلمات
منذ الطفولة فنشأ على تصديق ما يقول به العرف عنها . ثم تقبل
ما تبعته فينا من عواطف . فاذا شربنا أخذنا غيرها من الكلمات وبقدر
ما عندنا من ذكاء ناقد تكون قدرتنا على التخاص من بعض
ايحاءها

وذاكؤنا الناقد محدود بالعمر والكلمات غير محدودة اذ هي تراث
آلاف السنين .





من الأوصاف المألوفة أن نقول عن أحد الزعماء أو الساسة أنه
« رجل أقوال وليس رجل أفعال » وأحياناً نسمع من ينبهنا الى أن
الكلام غير العمل . وقد كان نابليون نفسه يصف الادباء بأنهم
« تجار الكلمات » ولأبي تمام شطرة من بيت كثيراً ما تذكره
« السيف أصدق أنباء من الكتب »

والواقع أن أبا تمام لم يقل كلمة هي أبعد عن الصحة والحقيقة من
هذه الشطرة. لأن السيوف لا تتحرك الا للكلام الذي سبقها والكلام
هو القوة الروحية المتسلطة والسيوف هو القوة المادية الخاضعة . أليس
من الواضح أن السيوف انما جردت في حروب العرب والرومان لأن
كلا منهما كان يفكر بكلمات تحمل قوات ذهنية وروحية ونفسية
تختلف مما كانت تحمله الكلمات الاخر عند الفريق الآخر ؟

ثم انظر إلى نابليون . لقد ضاع كل ما فتحه بالسيوف في أوروبا
وأفريقيا قبل أن يموت . اما الكلام الذي رتبته في « قانون نابليون »
فلا يزال حياً الى الآن . ولو أن نابليون عني بالكلمات ولم يحتقرها
لكان إلى جنب سيوفه ومدافعه دعاية لمذهبه الجديد في الحكم من
حيث اتحاد أوروبا والغاء النظام الاقطاعي . ولكنه أهمل هذه الدعاية

ولذلك استطاع أصحاب الكلمات القديمة بزعامة مترنيخ أن يفوزوا عليه وأن يطفئوا نور العصر الجديد - إلى حين

ونحن البشر نختلف من الحيوان من حيث أن أحسن أعمالنا هو أقوالنا أي هو كلماتنا التي نعين بها المبادئ والمثلثات . ولقد فتح الاسكندر الدنيا المعروفة في زمنه . فما هو أن مات حق تشتت . ولكن استاذة أرسطوطاليس رب الكلمات لا تزال كلماته حية بعد ٢٢٠٠ سنة من وفاته .

وقد خابت الحرب الكوكبية الاولى لأن عدتها من الكلمات كانت أقل من عدتها من السيوف والمدافع . فلما انتهى عمل السيوف والمدافع وهزمت ألمانيا وجاء السلم لم تجد كلمات ولسن الجو الملائم لنموها فذبلت وماتت أمام الاعشاب التي زرعها كليمنسو ولويد جورج . ولو أن كلمات ولسون نجحت ووصلت إلى قلوب المتمدنين ، ولو أنها كانت قد عبئت بالقوة التي عبئت بها السيوف والمدافع ، لثبت السلم وعم العالم . وما كنا عندئذ لنقع في هذه الحرب الكوكبية الثانية .

وقد احتاج هتلر الى نحو عشرين سنة وهو يعي الكلمات ويشحنها بشحنات عاطفية قوية تحمل الشعب الالماني على التهيؤ الروحي للصراع الذي ابتدأ في أول سبتمبر من سنة ١٩٣٩ . وأنا أكتب الآن في أبريل من سنة ١٩٤٤ وقد خسرت ألمانيا شيئاً عظيماً جداً

من قوة السيوف والمدافع ولكن قوة الكلمات النازية لا تزال تدفعها الى المقاومة .

وما هي المثليات والمبادئ الا الكلمات ؟ بل ماذا أعطانا الدين غير الكلمات كأن كل كلمة شعار أو مبدأ نبني عليه خطط الحياة ؟ وهل نسي أبو تمام أن المسيحية تركت كتاباً وأن الاسلام ترك كتاباً وكذلك فعلت سائر الأديان وأن هذه الكتب أصدق أنباء من السيوف ؟ ومن منا ينسى الكلمات الثلاث : الحرية ، المساواة ، الأخاء ، هذه الكلمات التي أحدثت الثورة الفرنسية وغيرت المجتمع في أوروبا ولا تزال تغير مجتمعات أخرى في غير أوروبا وميزة الأعمال التغيير . ولكن هذه الميزة نفسها تلصق أيضاً بالأقوال .

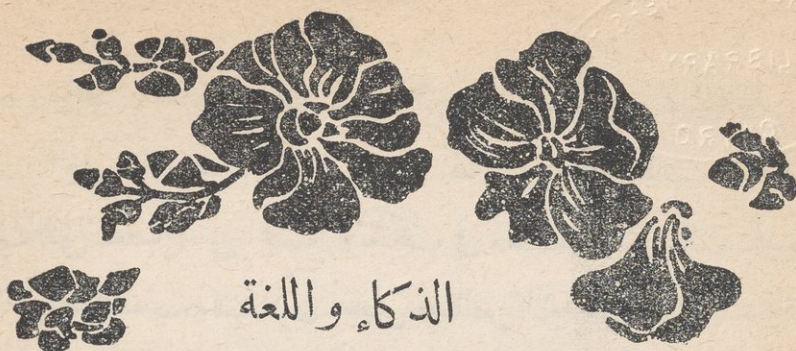
لأنه ما من كلمة نقولها في المجتمع الا وتحدث تغييراً كان أبو تمام شاعراً عربياً وكان ملتون شاعراً انجليزياً . وقد قال الأول كلمته الكاذبة البشعة : « السيف أصدق أنباء من الكتب » وقال الثاني : « من يقتل انساناً فانما يقتل مخلوقاً عاقلاً هو صورة الله . ولكن من يهلك كتاباً طيباً فانما يهلك العقل نفسه وكأنه يضرب صورة الله في عينها ... الا أن الكتب ليست أشياء ميتة على الاطلاق اذ هي تحتوى قوة الحياة لأن تنشيط كتلك النفس التي هي (الكتب) من سلاحتها »

والحرب القائمة هي حرب بين كلمتين . الديمقراطية والفاشية
أجل . ان هناك أقوالا ليست أفعالا . وهناك كلمات ميتة هي
تلك التي تنفصل من المجتمع وتعتكف في معبد أو في كتب قديمة
لا يقرأها الشعب . ذلك لأن أخص خصائص اللغة هو اجتماعيتها . فإذا
لم يتكلم بها الشعب ولم يجر التفاعل بينه وبينها فقدت قيمتها العملية
ولم تعد الأفعال أفعالا .

ولغتنا العربية من ناحية العلوم ميتة . ولذلك نحن لانعيش المعيشة
العلمية ولا يتحرك مجتمعا التحرك العلمى الذى تقتضيه معارف البيولوجية
والكيمياء والسيكولوجية والهيجين الخ

وحيوية اللغة تقاس بقدر ما فيها من أفعال . وأفعالها تقاس بقدر
تفاعلها مع المجتمع الذى ينطق بها . فاللغات الانجليزية والفرنسية
والالمانية أكثر أفعالا من اللغة العربية لأنها أكثر تفاعلا مع المجتمعات
التي تنطق بها وأكثر اتصالا بالعلوم العصرية التي تتحرك بها هذه
المجتمعات .





الذكاء واللغة

ليس هذا مقام البحث عن الكلمات هل هي أصل التفكير أم التفكير أصل الكلمات . واعتقادنا ان التفكير ممكن بلا كلمات ولكن في صورة بدائية مضطربة كما نفكر في الاحلام . وواضح ان احلامنا حين تكون على مستوى خامد راكد بالنوم تجرى بلا كلمات صورة تأخذ مكان صورة ومنظراً يتلو منظراً

ونحن الكتاب كثيراً مانجد عند ما نحلل تفكيرنا انه ينبعث ويتصل بالكلمات . ومما لا شك فيه ان هناك بين المتوحشين والبدائيين أذكاء من الطراز الاول . ولكن ذكاءهم يبقى عقياً لأنهم حين يفكرون يجدون تفكيرهم محدوداً بالتراث اللغوي المحدود الذي ينطقون (ويفكرون) بكلماته . واللغة لهذا السبب هي أعظم المؤسسات الاجتماعية في أية أمة لأنها الوسيلة لتحريك الذكاء في أبنائها ولتوجيه أخلاقهم بكلماتها التي تعبر عن المعرفة أو العقيدة أو الحكمة . ومن المحال أن تطمع الامة في أديب من أبنائها اذا كانت لغتها غير أدبية كما انه من المحال أن تطمع في عالم اذا كانت لغتها غير علمية

والفرنسيون معروفون بالمنطق والوضوح والدقة في تفكيرهم .
واعتقادنا ان هذه صفات لغتهم أكثر مما هي صفات اذهانهم .
فانهم من حيث السلالة لا يختلفون ممن حولهم من الامم الأوروبية
ولكن اللغة الفرنسية تحتوى كلمات وعبارات فى غاية الوضوح
والدقة . بحيث ان المعنى بل المغزى يبرز بأكثر مما يبرز فى أية
لغة أخرى . ولذلك كثيراً ما نجد الكاتب الانجليزى يعبر فى غضون
انشائه بكلمة أو عبارة فرنسية يحس ان كلمات لغته لا تؤديها . وعناية
الفرنسيين بتعليم لغتهم فى المدارس تفوق أية عناية تبذلها أمة أخرى
فى تعليم لغتها لانبائها

ويجب لذلك أن تكون الرسالة التعليمية الاولى لأية مدرسة مصرية
هى تعليم اللغة العربية . وأن تكون غاية هذا التعليم ايجاد الكلمات
التي تحرك ذكائنا بالتفكير الحسن وأن يكون هدف المعلم ليس
العبارة الجميلة ، بل الكلمة الناجعة ، التي لا يمكن أن تقوم مقامها كلمة
أخرى . ولهذا يجب أن نتجه نحو الاسلوب الاقتصادى المضبوط فنقاطع
المتراذفات ولا نحمل التلميذ عبء كلمات لا ينتفع بها فى تفكيره
العصرى . فان من يدرس ديوان المتنبي يجد فيه نحو ألف كلمة جديدة
غير مألوفة فى الصحف أو الكتب العصرية . ولكن هذه الكلمات
لا يمكن الشاب المصرى أن ينتفع بها فى عصرنا لأنها تصف مجتمعا
حرىا يخالف مجتمعنا . وهى لا تحرك ذكائنا أو تحدد المعانى

لمعارفنا كما انها لا تكسبنا الاتجاه الاخلاقى أو الفلسفى

وفى هذا القرن العشرين الذى نعيش فيه تحتاج كل لغة متمدنة الى ان تحوى الكلمات الاجتماعية البارة التى توجه نحو الخير . والكلمات العلمية والفنية التى تصف وتعالج مئة وعشرين عالماً وفناً . ومجتمعنا يجب أن يكون فى أكثره مجتمع المعارف والمنطق وفى أقله مجتمع العقائد والعاطفة . ولذلك يجب أن تحوى كل لغة كلمات المعرفة الدقيقة التى لا تلبس مع كلمات أخرى حتى اذا فكرنا بها سار تفكيرنا على مستوى الذكاء الذى يمكننا من أن نعيش المعيشة العلمية فى مجتمع علمى

وخلاصة القول انه يجب علينا :

١ - أن نعى أكبر العناية بتعليم أبنائنا لغتهم الوطنية لأنها وسيلة التفكير التى تحرك ذكاءهم وهى لذلك أثمن مؤسساتنا

٢ - أن تكون البلاغة بلاغة المنطق والمعرفة بدلا من بلاغة الانفعال والعقيدة . كما يجب أن تتوقى المترادفات والكلمات الملتبسة وأن نميز بين الكلمة الذاتية والكلمة الموضوعية .

٣ - أن يتألق التلميذ فى تعبيره ولكن تألق الذكاء وليس تألق البهرجة البديعية

٤ - أن يحس المشرفون على اللغة أن كل تقصير في إيجاد
الكلمات التي تؤدي إلى الفهم العلمي إنما هو تعطيل لتطور
الامة

٥ - أن نذكر أنه على قدر ارتقاء اللغة ووفرة كلماتها ودقة
معانيها يكون الانتفاع بذكاء أبناء الامة





للكلمات احياء اجتماعي للخير أو للشر . وكثير من الكلمات
يحمل شحنة عاطفية انفجارية للشر مثل كلمة « دم » في الصعيد ، أو
للخير مثل كلمة « بر » في أنحاء العالم العربي
وفي اللغة العربية كلمات مثل المروءة والبر والشهامة والفتوة والمجد .
وهي تحف لغوية يجب أن تقتنيها في بيوتنا ونعتز بها ونعرضها على
أبنائنا وتتحدث عنها . وما أسماها من كلمات كل منها بمثابة المؤسسة
الاجتماعية التي تبعث الخير وتعمم الشرف أينما وجدت . وإذا كانت
المجتمعات العربية القديمة قد قصّرت في فن الحكومة، لأنها لم
تعرف البرلمان أو المجلس البلدي ، فان هذه الكلمات قد استطاعت
في أحيان كثيرة ان توجد المجتمع البار وان تقيم العدل مكان الظلم
وان تحمل على الطموح والتطلع الى السماء . وأربع من هذه الكلمات
الخمس أو على الاقل ثلاث لا يمكن ترجمتها الى اللغة الانجليزية . ولست
أقصد هنا من الترجمة أن نجد الكلمة التي يدل اشتقاقها في الانجليزية
على انها مترادف العربية . بل أقصد الجو الاجتماعي التي تحدثه كلمات

مثل المروءة أو الفتوة أو البر . فاني أجزم بان اللغة الانجليزية
لا تستطيع التعبير عنها :

ولو كانت لغتنا تحوى خمسين من هذه الكلمات بل التحف
الغالية لكان فى مقدورنا أن نبني بها أخلاق الامة ونعين لها النفسية
التي تعيش بها فى سعادة ورفاهية . ولو كانت الامم العربية تكسب
فى كل مئة سنة كلمة جديدة لها هذه القوة فى الخير لصار المجتمع العربى
أسمى المجتمعات فى التفكير العاطفى

وقد يمكن السيكولوجى أن يقول ان هذه الكلمات انما عبأت هذه
العواطف السامية لانها كلمات تعويضية أى ان المجتمع العربى فى
القرون الماضية ، لما كابد من مظالم حكوماته، قد تعوض بهذه الكلمات
من هذه المظالم ، فأقام عدلا اجتماعياً مكان الظلم الحكومى أو
الى جانبه

انظر الى كلمة « مروءة » وما تحمله اليها من المعانى السلبية
والايجابية التى تكف وتغرى . فليس من المروءة الا نغيث السائل
المحتاج أو ننحون الامانة أو ننكث العهد . ولكن من المروءة أن نتجاوز
عن حقوقنا عند المحتاجين وان نتصدق حتى ولو كنا مخدوعين وأن
نعين العاجز ونسعف الملهوف . قال الزمخشري : المروءة هى كمال

الرجولة . وقال المصباح : « المروءة اداب نفسانية تحمل مراعاتها
الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات »

ولكن أين تعريف المعاجم هذا الجامد مما يعرفه جمهورنا عن هذه
الكلمة السامية ؟ فان أحدنا ليقول : « دعك من هذا الرجل فانك
لن تجد عنده مروءة » وكأنه قد حكم عليه بالاعدام المدني

واذكر أيها القارئ كم من موقف قد احتشدت فيه الدنيا
والخسائس وطغت فيه الظلمات الحيوانية على الروحية الانسانية واذا
بهذه الكلمة ينطق بها واحد فتنفجر منها قوة للخير فيخسأ الظلم وينهزم
العدوان ويخفت صوت الحيوان ويعلو صوت الانسان

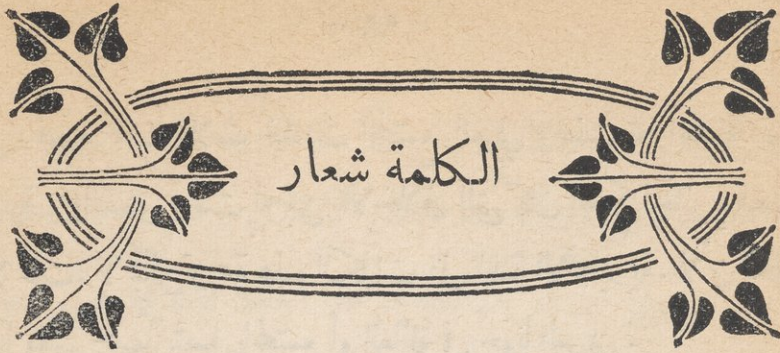
ثم انظر إلى كلمة « بر » . ونحن نقول في أيامنا البر الاجتماعي ولكن
في المعنى الاصلى وهو البر بالوالدين علاقة عائلية حميمة ما أشرفها وما أجملها
أو انظر الى كلمة الفتوة . فان هذه الكلمة ، لما حملته من المعاني
البارة ، بعثت أفراداً في المجتمع العربي على تأليف جمعيات للخير
والشهادة والمجد . فكان منهم « فتيان » يخدمون الفضيلة ويرفعون
أنفسهم الى مستوى عال من السلوك والأخلاق . قال الزمخشري
« الفتوة هي الحرية والكرم » .

وحسب كلمة ان يكون بها من القوة الانفجارية للخير أن تتألف
الجمعيات بإحياء لفظها .

فهذه كلمات ثلاث خدمت المجتمع العربي وعينت له أهدافاً من الشرف والسمو وبنيت له من الاخلاق التي كان الحكم الجائر يهدمها. وكما قلت، لا يمكن ترجمة هذه الكلمات الى اللغة الانجليزية. لأن لكل منها معنى حميماً يتصل بالمجتمع أو العائلة في جونا العربي.

فاذا أضفت الي هذه الكلمات كلمات اخر مثل المجد والشهامة والنخوة، عرفت قيمة هذه الكلمات التي يعد كل منها شعاراً يهتدى به الفرد في مجتمعه ويجد الاتجاه السديد نحو الملاءمة الاجتماعية. ومهمة الأديب أن يوجد مثل هذه الكلمات في لغته. لأنه عندئذ ينقل الجزاءات من المحكمة والسجن الي المجتمع والضمير. فالشاب الذي انغرس فيه معاني هذه الكلمات وما يقاربها لا يحتاج إلى أن ننصب له الميزان الاخلاقي بالقوانين والمحاكم لأن هذه الكلمات قد اقامت هذا الميزان في ضميره. فالدافع والوازع معاً داخلان هنا بالضمير وليساً خارجيين بالمحكمة والقانون.

وليست الكلمات سواء، فهناك من الكلمات ما نستعمله فنرتفع فوق أنفسنا في الذكاء أو العاطفة. بل أكثر من ذلك. فاني أكاد أقول ان بعض الكلمات يجعل الناس أذكى مما يتوهمون كما ان هناك كلمات تجعلهم أشرف وأشهم مما يحسون. وقد تكون الكلمات أربطة اجتماعية تضمد وتجمع كما قد تكون سموماً تفكك المجتمع وتسبب فيه ضرراً.



في الفصل السابق ذكرت بضع كلمات عربية قديمة يصح أن يكون كل منها شعاراً ينضوى اليه ويعمل به كل شاب . بل يصح أن تؤلف الجمعيات للدعوة الى المبادئ التي تقول بها . فنقول « جمعية المروءة » أو « جمعية الفتوة » أو « جمعية الشهامة » وندعو الشباب والفتيات الى اتخاذ المبادئ التي تنطوى عليها كل من هذه الكلمات .

وأي شيء هو أثنى في أية لغة في العالم من أن تحمل كلماتها أو بعض كلماتها المبادئ الاجتماعية السامية التي ينتظم بها المجتمع ويسير بها أفرادها عفو قلوبهم سيرة الشرف والاستقامة والطيبة .

والأمة المتطورة تحتاج الى كلمات جديدة تحمل لها الهداية العصرية والاهداف الاجتماعية، كلمات تمتاز بالايحاء الذي يحيل المجتمع الموت الى مجتمع حي يقط ، كلمات يحس الفرد نشوتها بل يتأثر بكيميائها ويجب أن أقول اننا نحن في مصر قد قطعنا شوطاً كبيراً في هذا الميدان فاخترعنا الكلمات التي توجه وترشد . وكان من حظي أن أقوم بنصيب حسن في هذا الميدان .

انظر الى كلمات : وطنية . عائلة . شخصية . مجتمع . ثقافة .
تطور . عالمية . تجديد . رجعية . ثورة . فانها جميعها كلمات حيوية
تؤدي وظائف فسيولوجية في المجتمع الحي . وليس في المعاجم العربية
ما يشير الى معانيها العصرية . ولكننا نحن وضعناها أو ألصقنا معنى جديداً
بكلمة قديمة . كما فعلنا في « ثورة » فان الكلمة المألوفة في كتب
العرب هي « فتنة » وهي كلمة كريمة تدل على شعور السادة
الغاصبين ولا تدل على شعور الشعب الناهض . فالمؤرخ الذي يكتب
عن الثورة الفرنسية ، اذا كان ملوكياً فانه يصفها بأنها « فتنة باغية » على
العرش والنبلاء . واذا كان ديمقراطياً فانه يصفها بأنها « ثورة عادلة »
قام بها الشعب الفرنسي في انتقال اجتماعي خطير . واستعمالنا « ثورة »
بدلاً من « فتنة » يحمل مغزى اجتماعياً سامياً

وقد وضعنا نحن « وطنية » لكي تقرر بها احساساً جغرافياً
جديداً يناقض الاحساس الشيوقراطي القديم الذي كان يعم العالم
العربي - بل وأوربا في العصور الوسطى .

وكذلك وضعنا « عائلة » لكي ننقل بها نظاماً أوربياً لم يكن
موجوداً في بلادنا . ولما ننجح . ولكن في هذه الكلمة من القوة
ما يسير بهذا النظام رويداً نحو النجاح .

وانظر الى كلمة « شخصية » . فقد ألفت أنا كتاباً عن هذه الكلمة .
وهي من الكلمات التي تخصب المجتمع وتحفز الفرد الى الرقي والتطور

وفي كلمة « مجتمع » مغزى عصرى لم يكن يستطيع الحاكمون في مصر أن يفهموه أيام محمد على أو المماليك حين كانت ميزات الثروة والحكم والقوة في أيدي الاتراك والارثوٲون دون المصريين . ولى انا كتاب عن كلمة « تطور » .

أما كلمة « ثقافة » فاني لم أنجح في كلمة أخرى نباحى في تعميمها . وكتابها ، ثقافة وتطور ، تعين اسلوباً للحياة عند الشاب وتفتح أبواب الرقى والتجديد وتصد الرجعية والجمود .

وهناك عبارات مثل هذه الكلمات لها قوة التحريك الاجتماعى . ويجب أن يكون اهتمام الاديب بالاكتثار منها حتى يألها الجمهور فينصبها أهدافاً لكي يصل اليها أو يذكرها ويتحفز بها الى التجديد والرقى .

انظر الى قولنا « الدولة الايجابية » أى الدولة التى تعمل للرقى والبناء ولا تقتصر على أن تكون سلبية لكفالة الأمن العام فقط كما كان الرأى فى القرن التاسع عشر .

أو أنظر الى قولنا « القحط ثمرة الوفرة » فان فى هذه العبارة مفتاح الفهم السديد لنظام الانتاج الحاضر فى أوربا وأمريكا .

أو انظر الى قولنا « الجوع الكيماوى » حيث يكون الشعب بالكيم يحمل الجوع بالكيف . كما هى الحال فى النقص الفيتامينى ينشأ بين

الفقراء بل وأحياناً بين الاغنياء . فان في هذه العبارة ما يبعث على الدراسة للقيم الغذائية .

أو انظر الى قولنا : « ادب الكفاح وادب التفرج » وقيمة هذه العبارة في الأدب وعلاقته بالمجتمع .

أو انظر الى عبارة « البيئة والوراثة في التربية » فان فيها ما يبعث على التفكير والدراسة سنين عديدة .

وقد كان يقال ان لكل نبي رسالة وهذا كلام حسن . ولكن لم لا يكون لكل انسان رسالة في الخير والشرف والمجد . هذه جميعها كلمات بل محركات اجتماعية كل كلمة منها شعار كأنه راية الجهاد للدفاع عن الذكاء والاخلاق وللدعوة الى الخير والرقى .





من أسوأ الانحرافات الذهنية في الانسان أنه يحيل الوسائل الى غايات . فان الناس يجمعون المال وسيلة يصلون بها الي غاية السعادة وهذا هو الزعم بل الفهم العام . ولكن ما هو أن يشرع احدنا في جمع المال حتى ينسى الغاية فيبقى طيلة حياته وهو في هذا الاسر أى يجمع المال وغايته المال لا أكثر . فان الحياة قد أصبحت وسيلة للمال وليس المال وسيلة للحياة .

وهذا الانحراف كثيراً ما نجده في شئون أخرى . حين يقال أن الأدب غاية الحياة . أو الثقافة أو الفن . بل هناك مذاهب تقول أن الدولة غاية . وقبل نحو خمسين سنة شاع مذهب يقول « الفن للفن » كأن الفن غاية .

والواقع انه ليس للحياة غاية سوى الحياة . وكل ماعدا الحياة انما هو وسائل للحياة . فاللغة والأدب والفن والبلاغة انما هي جميعها في خدمة الحياة التي لها الاحترام الأول والمكانة المفضلة . فنحن نتعلم الفنون ونمارس البلاغة ونعنى بالثقافة لكي نصل في النهاية الى مستوى عال من الحياة . ولذلك لا نحتاج الى أن نشرح للقاريء أن بلاغة الحياة أهم وأخطر من بلاغة اللغة ، وان أسلوب الحياة أجدر بالأولية

والتفضيل في التعليم من أسلوب الكتابة ، وأن فن الحياة هو أشرف وأجدى الفنون على هذا الكوكب .

وإذا جعلنا الحياة الشريفة السعيدة هدفاً ، نوجه اليه فنونا وعلومنا وعقائدنا ، فإننا نستطيع أن ننزع عن هذه جميعها تلك القداسة التي تحول بيننا وبين تنقيحها أو تغييرها . ويعود عندئذ « فن البلاغة » فناً تجريبياً مثل جميع الفنون . ويتغير كما تغيرت . فليس شك في أن التغير أو التنقيح قد عم فنوناً كثيرة في عصرنا مثل الرسم أو النحت أو البناء . ولكن فن البلاغة في اللغة العربية لم يتغير .

فحياتنا العصرية تختلف من الحياة العربية قبل ألف سنة . فإذا كنا نسلم بأن فن البلاغة يجب أن يكون في خدمة هذه الحياة العصرية فإنه يجب أن يتغير لكي يخدمها . فلم يعد مجتمعنا في حاجة الى البهارج والزخارف البديعية نحطم رؤوس أبنائنا بتعلمها وممارستها . ولكننا في حاجة الى أن نجعل البلاغة فناً للتفكير الحسن السديد . وللأمة المصرية حق تطوري في هذا التغير .

ويجب أن نشرح غايتنا من البلاغة الجديدة :

- ١ - فهي قبل كل شيء التفكير المنطقي السديد الذي يؤمن فيه من الخطأ
- ٢ - تحريك الذكاء وتدريبه بالكلمات .
- ٣ - أن نعرف كيف نستعمل الكلمات للتفكير التوجيهي .
- ٤ - أن نعرف كيف نستعمل الكلمات لتحريك الاجتماعى .

فاما القاعدة الأولى وهي أن التفكير يجب أن يكون منطقيًا فتقضي بدراسة كتاب موجز في المنطق . وإذا كان اللورد هوردر الطيب الانجليزى ينصح لكليات الطب في بريطانيا بتدريس كتاب جيفونز في المنطق في السنة الأولى من الدراسة الطبية، فاننا أحوج الى مثل هذه النصيحة في دراسة اللغة العربية في كلية الآداب أوفى دار العلوم . ويجب أن تكون الكلمات موضوعاً لتدريب الذكاء اللغوى في التلميذ والطالب. ولن يستطيع مدرس اللغة أن يصل الى ذلك الا إذا كان موسوعى المعارف قد درس احدى اللغات الأوربية وأتقن علماً عصرياً .

والى هنا الفائدة سلبية وهي أننا لا نتق في الخطأ والالتباس . ولكن يجب أن نتعلم اللغة للفائدة الايجابية وهي الاتقاع بها في ايجاد الكلمات الموطرية التى تحرك الفرد والمجتمع . أى نعرف القيم السيكولوجية للكلمات وما فيها من شحنات عاطفية أو تنسيهات ذهنية .

فاللغة علم وفن . فهى علم من حيث أننا يجب أن نعرف كيف نتق المعانى وكيف نسر المعزى فى الكلمة . وهى فن من حيث قدرتنا على استعمال الكلمات لكي تبعث التحريك الاجتماعى أو التنبيه الذهنى أو العاطفى فى الفرد أو الجماعة . أى اننا نستطيع أن نعبيء الكلمات للإصلاح .

في سنة ١٩٠٤ كنا قد وصلنا الى أعماق هوة من الضعف الوطني وكان يقال لنا أن بلادنا زراعية وأنها يجب ألا تتجه وجهة صناعية. وصدر في تلك السنة قانون يصف المصانع بأنها « محلات مضرّة بالصحة أو مقلقة للراحة أو خطرة » .

والى الآن لا يزال هذا القانون قائماً . والى الآن لا يزال هذا هو وصف المصانع . بل أن كلمة « مصنع » لا ذكر لها في قوانيننا . فإذا كنت مصرياً ناهضاً قد تأملت الدنيا وعرفت أن الرقي إنما هو صفة الأمم الصناعية وحملتك وطنيتك على أن تنشئ مصنعا في مصر لكي ترجع منه وتوفر للشبان عملا وللجمهور بضائع رخيصة ، فاعلم أنك إنما تؤسس « محلا مضرّاً بالصحة أو مقلقاً للراحة أو خطراً » . وبعد أن تؤسس هذا المصنع سيأتيك موظفون من وزارتي الداخلية والصحة وكل منهم مزود بعاطفة قد أحدثتها في نفسه هذه الكلمات « مضر بالصحة . مقلق للراحة . خطر » فهو ينظر الى مصنعك واليك بهذه العاطفة . ويجب ألا تنسى أنه لا يزورك مع ذلك موظف من وزارة التجارة والصناعة .

تأمل أيها القاريء ماذا كان يكون احساسنا وأية عاطفة كانت تثار في نفوسنا لو أننا اسمينا المستشفى « محل يقتل فيه الناس أو تقطع أعضاؤهم أو يجرحون » ؟

فهنأ مثال للفائدة التي نجنيها من الاستعمال الإيجابي للغة . فإذا

شئنا ان نحب الانكليس فيجب الا نسميه شعباناً . واذا شئنا أن نحب المصنع ونحض الناس على اتخاذ الصناعة فيجب أن نختار له اسماً إيحائياً مغرياً كأن نقول بدلاً من العبارات السابقة : « كل من أسس محلاً مفيداً للأمة يزيد ثروتها ويوفر العمل لأبنائها ويرخص البضائع النافعة الخ » ألا ترى القوة الموطرية في هذه الكلمات ؟ ألا ترى أن هذه الكلمات أليق وأشكل بوصف المصنع في عصرنا الجديد ؟ ألا ترى أننا هنا نجد الخدمة الاجتماعية العظمى من البلاغه الجديدة ؟

أجل : ان المصانع في مصر يجب أن تعد مقداس الأُمه كالمعابد سواء اذ هي التي سوف تنقلنا من الركود الريفي الى التحرك المدني . فيجب أن تجد في قوانيننا ولغتنا الوصف الاطرائى المغرى بتأسيسها





عرف القارئ من مقال الاستاذ احمد امين بك ان معظم الاضطراب في المعانى يرجع الى اننا أحياناً نستعمل كلمات وعبارات نشأت في بيئة اجتماعية غير بيئتنا. وهى كلمات أو مجازات أو استعارات اشتقت من أساليب التفكير الذى كان متبعاً قبل نحو ألف سنة في بغداد مثلاً أو لا يزال يتبع في اقليم عربى آخر له أسلوب تفكيرى يخالف أسلوبنا . ولو انه يعيش في عصرنا . وهذا الاسلوب قد حمل السكان هناك على سلوك لغوى يخالف سلوكنا

و ثم قاعدة تاريخية سديدة يجب أن نذكرها على الدوام هى ان طراز الثقافة يصاغ وفق الوسائل التى تستخدم في تحصيل العيش . فوسائل العيش في القاهرة تختلف مما كانت في بغداد قبل ألف سنة وتختلف مما هى في مراکش أو صنعاء الآن . ولذلك تختلف أيضاً ثقافتنا . واللغة تسير وراء الثقافة وكلماتها تحمل المعانى التى تتطلبها هذه الثقافة أو هى تعجز عن حمل هذه المعانى فيحتاج المجتمع الى غيرها . إذ لا مفر من أن نربط اللغة بالمجتمع

ونحن نحاول أن نرقى بأممتنا . ولكن مامعنى هذا الرقى ؟
هذا الرقى يعنى اننا نعيش المعيشة العلمية حيث تستند الحقائق
الى اليبينات لا الى العقائد . ولن نستطيع أن تتجاهل الوثبة الجديدة
فى هذه الدنيا وهى انها قد تقلصت فيها المسافات حتى يمكن أن يقال
انها صغرت فصارت قرية واحدة . فيجب لهذا السبب

١ - أن نجعل ثقافتنا علمية وأن نجعل لغتنا علمية . ويجب أن
نستعمل كلمات العلوم فى تعبيرنا فى الصحف والكتب والحديث

٢ - وأن نجعل ثقافتنا كوكبية حتى تتسع افاقنا الذهنية والنفسية
ونمارس بذلك حقنا البشرى الاول وهو ان هذا الكوكب ملكنا
ولنا الحق فى معالجة شؤنه بكلمات كوكبية .

وفى الفصل التالى سنعرف ما هى هذه الكلمات الكوكبية .
أما هنا فنقتصر على التعبير العلمى أى استخدام كلمات العلوم فى بيئتنا
الاجتماعية باعتبارها الكلمات المجازية التى تتفق والمجتمع العلمى
الذى تنشده

وفىما يلى بعض التعابير التى اشتقت من اللغة العامية على سبيل المثال :
التفاعل بين اللغة والمجتمع - كيمياء

الوفد هو بؤرة الاشتغال الوطنى فى مصر - طبيعيات
نعيش فى عصر متوتر بالمصاعب والمشكلات - سيكلوجية

اللغة هي الجهاز العصبي للمجتمع - طب

الحياة تفقد ايقاعها في المرض - موسيقا

أول ما ترجمت الفكرة عندي - سيكلوجية

يجب أن ننظر الى المستقبل ببصيرة تلسكوبية - فلك

كان عند ما يدخل البيت يرصد جوه هل هو ينذر
بالعاصفة - فلك

كان مذهب التطور من أعظم الخاثر الاجتماعية في القرن
الماضى - كيمياء

رجل يمتاز بالبصيرة السيكلوجية - سيكلوجية

يعانى تخمة ذهنية - طب

الايحاء أفعل من الاغراء - سيكلوجية

التحرش بالغريزة الجنسية في القصص - سيكلوجية

خوف الغارات قد نفذ الى جميع مسام المجتمع - طب

يمشى في تناقل روماتزى - طب

من الحركات المغنطيسية التى تجذب الشبان - طبيعيات

الطاقة الموطرية في الكلمات - طبيعيات

يخشى الدنيا ويرى المصباح الاحمر أينما سار - ميكانيات
الحرب هي قاطرة التاريخ لانها تعجل التطور - ميكانيات
الوقف يقف كالخثرة في الدورة الاقتصادية المصرية - طب

نحن الآن نستعمل القطار والريوفون والعدسة ونعرف الجرائم
في الامراض . وليس في المدينة شئ نألفه مثل الموطر . والمصباح
الاحمر في حياتنا المدنية قيمة الحياة والموت . فيجب أن نستعمل
هذه الكلمات في مجتمعنا كما استعمل العرب الكلمات التي تتصل
بحياة الجمل ونبات الصحراء وأعلام الطرق والجبل والسهل والقتال الخ





في هذا العصر الذي نعيش فيه تجرى انقلابات من أخطر
ما جرى على هذا الكوكب في تاريخه . وإذا لم نكن نحن على وجدان
بهذين الانقلابين فإن تطورنا يتأخر ، وتتخلف عن قافلة الحضارة
الانقلاب الاول ان العقل البشرى في أعلى مستواه قد انتقل
الى التفكير العلمى . فصار الانسان يعالج مشكلاته فى السياسة
والصحة والاجتماع والاقتصاد بالعلم ، أو هو يحاول ذلك . والامة التى
تمارس العلم ترتقى وتتفوق بل هى تستطيع أن تستخدم الامة التى
لا تمارس العلم كما نستخدم نحن الجاموس أو البقر . ويتضح هذا
بنظرة عاجلة للأمم المختلفة على هذا الكوكب

والانقلاب الثانى ان هذا الكوكب يضير رويداً نحو التوحيد .
وليس هذا ثمرة الارادة البشرية ولكنه ثمرة العلم الذى محا المسافات
حتى صار الانتقال من القاهرة الى القطب الشمالى سنة ١٩٤٤ يحتاج
بالطائرة الى وقت أقل مما كان يحتاج اليه الانتقال من القاهرة الى

طنطا قبل مئة سنة بوسائل النقل القديمة . ومحو المسافات هذا قد عمل على التقريب الجغرافى والتقريب النفسى معاً . ولذلك أرانى أهتم فى الصباح بقراءة الاخبار عن التطورات السياسية أو الاجتماعية فى روسيا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو المانيا كما صرت الوك أسماء سمطس وتشرشل وروزفيلت وستالين وشيانج كاي شيك كما الوك أسماء الساسة فى مصر

التفكير العلمى من ناحية ، والعقلية الكوكبية من ناحية اخرى ، كلاهما يؤثر فى تطورنا السياسى والاقتصادى ويجب لذلك أن يؤثر فى تطورنا اللغوى

فالعلم تفكير جديد يحتاج الى لغة جديدة . وهذا هو ماحدث فى اوربا . فان الاوربيين حين شرعوا يفكرون تفكير المنطق والتجربة ، تفكير الذهن واليد ، أى التفكير العلمى ، وجدوا ان دقة التعبير تحتاج الى كلمات جديدة ليست لها أية ملابسات قديمة فاخترعوا هذه الكلمات ، ليس من لغاتهم ، بل من لغات قديمة لايعرفها الجمهور . وبذلك أصبح لكل علم لغته الخاصة التى لا يمكن أن يقال انها انجليزية أو فرنسية أو روسية . بل هى لغة العلم . فكلمة « بيولوجية » لايعرفها رجل الشارع فى لندن أو باريس أو نيويورك . لأنها كلمة مشتقة من اللاتينية لكى تعبر عن معنى لم يكن الجمهور فى حاجة اليه قبل مئتي سنة مثلاً . وقس على هذا كلمات كثيرة مثل : المندلية فى

الوراثة . الیوجنية فى اصلاح النسل . السيمانية فى المنطق اللغوى .
الاسبکترسکوب . التلکسوب . الميکرسکوب . السیترسکوب .
الکاردیوجراف . الرديوفون . التلفون . التلغراف . الهورمونات
من الغدد . الفيتامينات الخ

فجميع هذه الكلمات - وآلاف غيرها - يعرفها الياباني
والانجليزى والهندوكى والارجنتينى . ولا يحاول واحد منهم أن
يترجمها الى لغته . أولاً : لانه يحس انه اذا اختار كلمة من لغته فانها تحمل
معها ملاحظات لا يعرف كيف يتخلص منها . وثانياً : لانه عندئذ
ينعزل بكلمة خاصة ليست فى لغة هذا العلم التى يعرفها العلميون فى
الاقطار الاخرى

فلكل علم لغته التى يجب أن تستعمل فى أى مكان على هذا
الكوكب ، ولا يصح أن تترجم ، بل هى لا يمكن أن تترجم ، الا مع
الضرر بالتفكير العلمى . والعلم شئ جديد فى عصرنا فيجب أن
تقبل اسلوبه الجديد فى التعبير

وليس شك فى ان المصرى الذى تجابهه كلمة سترسکوب او
الاسبکترسکوب يضرس كما لو كان يمضغ حامضاً لانه يحس صدمة
لغوية تخالف مألوفه . ولكن سرعان ما يزول هذا الضرر بالألفة
وكلمات العلم أجنبية فى جميع اللغات وليس علينا حرج أن تكون
كذلك أجنبية فى لغتنا . بل ان رجال العلم الاوربيين يأخذون

كلمات المتوحشين حين يكون لها مغزى فى الاثر بولوجية مثلا كما نرى
فى كلمتى طبو وطوطم

والمصرى الذى يتخصص فى علم ما ، يحتاج الى متابعة الدراسة
مدى حياته لهذا العلم . ولا غنى له عن كلمات هذا العلم التى يستعملها
جميع المتخصصين فيه فى القارات الخمس . وهو يفكر بهذه الكلمات .
ومن التكليف المرهق ان نطالبه بترجمة هذه الكلمات الى لغتنا . لأن
كل ما نحتاج اليه أن نعرب هذه الكلمات ونصوغها فى صيغة عربية ،
اذا كنا سنؤلف بها فى لغتنا الدارجة ، أو لانصوغها ، اذا كانت ستبقى
مقصورة على المتخصصين

هذا من حيث كلمات العلوم . ولكن تقلص المسافات قد احوال
هذا الكوكب الى قطر واحد تسكنه أمة واحدة . وهذا يحملنا على
على أن نتخذ العقلية الكوكبية . ولذلك جرت صفحنا على أن تستعمل
هذه الكلمات والعبارات الكوكبية :

بروتوكول . مناقشات بينظية . حب افلاطونى . حكومة
بيروقراطية . ديمقراطية . النظام السوفيتى . التلغراف . التلفون .
الروديوفون . السينماتوغراف . الاتوميل . الخ

ونحن والفرنسيون والالمان والصينيون والامريكيون سواء
فى استعمال هذه الكلمات . وسوف تزداد هذه الكلمات فى
المستقبل بالعشرات بل بالمئات . وهذا تطور حسن . لأن هذا الاتجاه ،

مع كلمات العلوم، يحدث القرابة الذهنية التي ستؤدي يوماً ما إلى قرابة نفسية .
فلا يكون الشعور بالبعد والفرقة والانفصال ثم الانعزال فالعداء
وكل مصري بارّ بوطنه وبهذا الكوكب يجب ألا يعارض هذا
الاتجاه . لأن المعارضة في حقيقتها تعني عقوقاً بحقوق البشر وعرقلة
لاتحاد أبناء هذا الكوكب ورفيقهم . وبتخاذ هذه الكلمات تقرب
من العقلية الكوكبية، والثقافة الكوكبية، وربما اللغة الكوكبية

وعندى ان بعض الميزات لما يقترحه عبد العزيز فهمى باشا من
اتخاذ بعض الحروف اللاتينية في كتابتنا يعود الى ان هذه الحروف
تضمننا الى مجموعة الامم المتقدمة . وتكسبنا عقلية المتمدنين وتنزع منا
تلك الخصومة التي تبعثها كلمتا شرق وغرب . وتجعلنا أقرب الى العقلية
الكوكبية واللغة الكوكبية . ولكنى مع ذلك لا أنتقص الفائدة من
الخط اللاتينى في التعبير عن كلمات العلوم . فان هذه الكلمات
تبدو نائية في الخط العربى ، كما تغيب اصولها التي اشتقت منها فلا
تفهمها عند رؤيتها . وربما كان هذا من أكبر الاسباب للنفور
منها ثم لتخلفنا فى العلوم

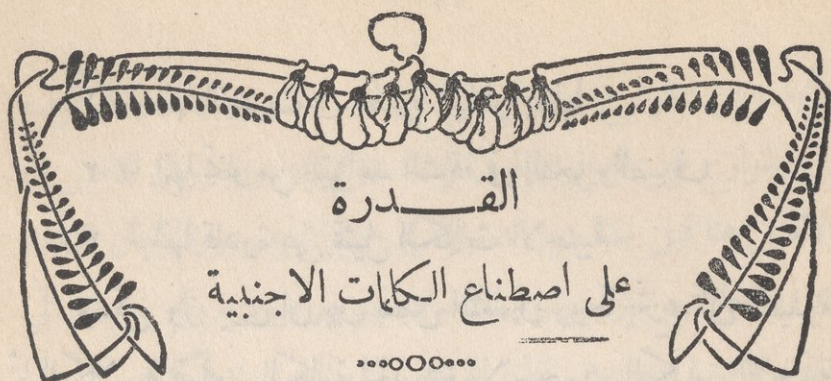
وواضح من تاريخ العرب انهم عربوا فى كثير من الاحوال
بدلاً من أن يترجموا . كما نرى فى هذه الكلمات . استاذ . ادب .
اقليم . فلسفة . ابريق . قاض . كابوس . قانون . زخرفة . تاريخ .
الماس . جغرافية . انبيق . زكاة . بستان . برج . تلميذ . جدول .

سجل . ترعة . دستور . قطار . سمسار . صراط . صابون . لغة . قفطان .
ناموس . الخ

فكل هذه الكلمات ومثلات غيرها يرجع الى أصل اغريقى أو أصل لاتينى
أو غيرها . ولم يحاول كتاب العرب ترجمتها وإنما اكتسبوها صيغة عربية
لأكثر . ولا ينكر انهم عمدوا الى الترجمة أحياناً كما فعلوا فى كلمات
المنطق . فانهم ابتدأوا باصطناع كلمة السلجسة (سيلوجسم) ثم تركوها
وقالوا القياس . وكل منا يأسف الآن على تركهم للسلجسة العربية
واتخاذهم كلمة القياس المترجمة . لان كلمة القياس تتحمل طائفة من
المعانى التى تربكنا فى حين نحتاج الى الدقة فى قواعد المنطق

وللتعريب - فضلاً عن قيمته فى التقرب من لغة بشرية عامة
وفضلاً عن قيمته الدراسية فى العلوم - قيمة ثقافية أخرى . لأنه
يبصرنا بالتاريخ والتطور الثقافى . فنحن حين نقول « برلمان » نحس
من حروف هذه الكلمة تاريخاً عاماً للحكم النيابى فى العالم . وليس فى
مصر وحدها . ونعرف الاصل لهذا الحكم . وكذلك الحال فى اتومبيل
وتلفون وبسكليت ومنجه وجوافه وككتوس وقيصر وریشتاچ
وسوفيت وميكادو الخ

ومن مصلحة الثقافة ان تبقى هذه الكلمات على أصولها لى
نزداد معرفة للتاريخ أى فهما للدنيا



قال ه. ج. ولز في كتيبه « العلم والعقل العالمى » :
« نستطيع أن نقول إن كفة الراى ترجح فى ناحية اتخاذ اللغة
الانجليزية أساساً مهماً للغة عالمية . ولست أقول هنا ان اللغة الانجليزية
تصلح لأن تكون لغة عالمية وإنما أقول انها تصلح لأن تكون أساساً
مهماً فقط . ذلك ان انتشارها فى انحاء العالم فى الوقت الحاضر وخلوها
من التغيرات الصرفية والارتباكات النحوية وقدرتها على تمثيل
الكلمات الأجنبية — كل هذا يحسب من محاسنها . ولكن هناك ما هو
ضد ذلك . وهو هذا الجمود العنيد ، جمود الطبقة العالية التى تهاب ولا
تقتحم ، هذا الجمود الذى يتحيز مكاناً كبيراً فى التقاليد التعليمية
البريطانية التى تنزع الى الكلاسيكية أو التليدية العميقة التى تعدّ فى
روحها انفصالية ترفعية . وهذه النزعة ليست فقط غير مساعدة لانتشار
اللغة الانجليزية بل هى تعرقل هذا الانتشار عرقلة قوية »
هذه هى كلمة ولز . ومنها نفهم ان اللغة الانجليزية تصح أن تكون
أساساً للغة عالمية لجملة ميزات هى :

طبع
كلم
بح
من
،
،
لو
له
ني
ها
يا
ا

- ١ - انها انتشرت في عصرنا انتشارا عظيما
 - ٢ - انها تخلو من القواعد الشاقة في النحو والصرف
 - ٣ - انها قادرة على تمثيل الكلمات الاجنبية
- ولكن ولز يرى ان بين بعض المتعلمين روحا ينزع الى التليدية
أو الكلاسية فيهاون الكلمة الجديدة ولا يرحبون بالكلمات الاجنبية
التي تخصب بها اللغة وتزدهر
- ونحن في مصر حين تقارن بين العربية كما تتعلمها ونكتبها وبين
الانجليزية نعرف ان نزوعنا الى الكلاسية وكراهتنا للكلمات الاجنبية
تزيد ، ليس مئة مرة بل ألف مرة ، على ما يشكوه ولز من الكلاسيين
الانجليز . وحسبنا من هذا أن نعرف شيئين :

١ - ان في اللغة الانجليزية نحو الف كلمة عربية وليس في لغتنا
نحو عشرين كلمة انجليزية

٢ - ان الكلاسية (التليدية) الانجليزية لا تبلغ جزءا من
الف من الكلاسية العربية . والبرهان على هذا ان في شكسبير الذي
مات قبل نحو ٣٣٠ سنة تعابير وكلمات لو اجترأ انجليزي على استعمالها
لعدّ حماراً سخيفاً . مع اننا ننش عن الكلمات المماتة في لغتنا ونستعملها
لابناء ١٩٤٥

والكلاسية في مصر كما نراها في ايامنا ليست لغوية أدبية فقط
بل هي اجتماعية مزاجية ذهنية . فدعاتها مثلاً يهتمون كثيراً جداً في

التأليف عن الخوارج في أيام علي بن أبي طائب ويهملون التأليف
عن الخوارج على الديمقراطية في أيامنا . وهم يدرسون رجال الامس -
والامس هنا قبل سنة ١٠٠٠ ميلادية - ولا يدرسون رجال اليوم .
وهم في اخلاقهم شرقيون وفي اقتصادياتهم زراعيون . وهم ينظرون الي
اللغة والادب العربيين نظرة الراهب الى الدين . فكما ان هذا
ينزوى في صومعته ويقرأ كتبه بعيداً عن معمة الحياة ، كذلك أولئك
ينزفون في مكباتهم ويدرسون الجاحظ ويحاولون ان يكتبوا مثله
عنه : يكتبون عن الجاحظ بلغة الجاحظ ويثنون عليه أو ينقدونه
بمزاجه وذوقه ومقاييسه

وهؤلاء الكلاسيون يجهلون أشياء كثيرة عن الدنيا . وانا أؤكد
انهم سيضحكون مني حين أقول انهم يجهلون :

١ - ان الدؤدؤ قد انقرض منذ مئة سنة بعث الصيادين وان
انقراضه خسارة فادحة للبشر جميعهم

٢ - وان الكيمياء الصناعية قد اوشكت ان تقرر الغاء زراعة
القطن من العالم كله . . . ومن مصر

٣ - وان مشكلة الهند يجب ان تكون مشكلة كل رجل مثقف
على هذا الكوكب

٤ - وان التكنولوجيا تبشرنا بالوقت الذي يكفيناه فيه شهر

طبع
كلم
يح
من
'
'
ولو
بله
تي
بها
في
را

من العمل لكي نعيش ١١ شهراً في الراحة أى في التعلم وزيادة
الاختبارات والاستمتاع
الخ. الخ.

الكلاسيون هم رهبان الادب العربي . واللهجة الغوية التي
يتخذونها في الكتابة قد أحدثت لهم لهجة ذهنية في التفكير . فهم
جامدون يخافون الدنيا . وهم أيضاً لهذا السبب نفسه يعرقلون تطورنا
الاجتماعى والاقتصادى وتطور اللغة والادب . يكرهون الكلمة
الاجنبية فيقولون سيارة بدلاً من اتومبيل . ثم تنتقل هذه الكراهة الى
العالم الخارجى فلا ينبعثون الى دراسة الصين أو الهند أو ألمانيا . ثم
تنكش أذهانهم وتعود الدنيا كلها وقد انحصرت في اهتمامهم بدرس
الادب واللغة العربيين لا أكثر . ثم يزداد الانزواء الرهبانى فيتحدث
الاديب التليدى العربى عن العالم العصرى كما يتحدث الراهب عن
فجور المدنيين الدنيويين . ثم بعد ذلك المقاطعة بين العقليتين



اوجدين والانجليزية الاساسية

تتماز اللغة الانجليزية بميزات عظيمة جعلت لها السبق في ميادين التجارة والصناعة والثقافة . ويبلغ الناطقون بها اكثر من مئتي مليون متعلم . ومن أعظم ميزاتهما ان نحوها قليل القواعد حتى يمكن الاستغناء عنه . وقد قال الفيلسوف هربرت سبنسر انه لم يتعلم النحو قط وانه درس والف في هذه اللغة دون أن يحتاج الى دراسة النحو . ولا يمكن عربياً أن يقول مثل هذا الكلام عن لغته وميزة أخرى في اللغة الانجليزية انها غير جنسية . فالاشياء محايدة ليست مذكرة أو مؤنثة . أما نحن فنحتاج الى أن نعرف « جنسية » الحرب والسلام والارض والجبل والميناء والكبرياء والروح والبيت الخ

ومع هذه السهولة لا يزال المفكرون من الانجليز يدعون الى الزيادة في التبسيط . وقد قطعوا بعض المسافة نحو هذا الهدف فأصلحوا الهجاء وألغوا الحروف الصامتة . وهم ، بل وغيرهم من الامم الاخرى ، يفكرون في جعل اللغة الانجليزية لغة كوكبية . ولأجل هذه الغاية وضع الاستاذ اوجدن ماسماه « الانجليزية الاساسية »

نطبع
كلم
يسح
من
،
،
ولو
نبلة

تي
مها
في
رأ

والاستاذ اوجدين من علماء السيكولوجية . ومن أعظم مؤلفاته كتاب «معنى المعنى» وهو فى السيمانية أى المنطق اللغوى والايضاح عن المعانى

ونزعة « اللغة الاساسية » تناقض النزعة العامة فى لغتنا . ومن هنا قيمتها لنا لأنها تنبهنا بهذا التناقض . فان الاستاذ اوجدين يرى ان الكلمات التى نحتاج اليها محدودة وانه خير لنا أن نعرف نحو الف كلمة واضحة المعنى محبوبة من أن نعرف عشرة أضعاف هذا العدد من الكلمات التى يحتمل فيها الشك والالتباس فتفسد التفكير وتعطل الذكاء

ثم هو يرى ان اللغة الانجليزية جديرة بان تعم العالم . وقد احتال للوصول الى هذا الهدف باختيار ٩٤٦ كلمة يعتقد انها تكفى للفهم فى اللغة الانجليزية . وهذه الكلمات هى ٦٠٠ اسم و ١٥٠ نعتاً و ١٨ فعلاً و ٧٨ ضميراً وظرفاً وحرفاً

والقارى يلاحظ قلة الافعال . ولكن اوجدين يستغنى عن الافعال باستعمال الاسماء الكثيرة مع افعال قليلة . فبدلاً من أن أقول :

تعالجت من مرضى أقول عملت العلاج لمرضى

وقضيت ساعة بالمنزل » كنت ساعة بالمنزل

وسيزورنى اليوم محمد » سيعمل محمد زيارة لى اليوم

ولما بلغت العاشرة من العمر » لما كنت فى العاشرة من العمر

فيرى القارئ هنا اننا استعملنا فعلى كان وعمل بدلا من أربعة
أفعال . ويمكن كذلك أن نستعملهما بدلا من مئة فعل . لأن الانسان
اما كائن واما عامل . وفي اللغة الانجليزية نحو أربعة آلاف فعل
ولكن اوجدن استغنى عنها كلها بهذه الافعال التالية :

جاء . حصل . اعطى . ذهب . حفظ . ترك . صنع . وضع . بدأ .
أخذ . كان . عمل . ملك . قال . رأى . أرسل . أراد . ربما (وهى فعل
في الانجليزية)

وعلى هذا يمكن أن نجعل فعل « ذهب » يؤدي معانى ثلاثين
فعلا . فنقول : ذهب فى (دخل) وذهب قبلا (سبق) وذهب من
مكان الى مكان (جَوَل) وذهب الى الجانب الآخر (عبر) : وذهب الى
(زار) الخ . ثم هو أى اوجدن يستغنى عن المترادفات أو ما يقاربها .
فنحن نقول جلد الحيوان . وفرو الثعلب ولحاء الشجرة . وغلاف الزهرة .
وقشرة الثمرة . ولكنه هو يقنع بكلمة جلد للجميع . فيحقق الاقتصاد
اللغوى وهو بعض أهدافه . وهذه الكلمات تحفظ فى بضعة أسابيع أو
أشهر . وليست هذه الكلمات بالطبع هى كل اللغة الانجليزية . ولكن
الاجنبى الذى يعرفها يستطيع التفاهم بها ويستطيع أن يقرأ بعض
الكتب التى ألفت بها

وامامى وأنا أكتب هذه الكلمات كتاب ألف على مبادئ
« اللغة الاساسية » يدعى « نحو العلم » تبلغ صفحاته ٣٧٢ صفحة

نطبع

كلم

يسح

من

ة

أ

ولو

فيله

لتي

عها

في

نرا

متوسطة . ومن فصوله : مقاييس القوة . الضوء الكهربائي . داروين
وما بعده . المادة . العلاقات

وبعض هذه الفصول يتعمق في الفلسفة . ولكنه كتب بالانجليزية
الاساسية . والقاعدة التي اتبعها اوجدت في اختيار هذه الاصول
دون غيرها هي انه وجد انها اكثر استعمالاً من غيرها في اللغة
الانجليزية . وهو بالطبع لا يقول بالاكتفاء بهذه الكلمات ولكنه
يقول بفائدتها للاجنبي الذي يجد اللغة ميسرة له لا يستغلق عليه فهم
كلماتها . فهو يتحدث ويكتب ويقرأ بها . ويستطيع بعد ذلك أن
يتوسع . ويقول أيضاً بفائدتها للأطفال الانجليز المبتدئين لانهم
يستطيعون أن يقرأوا في موضوعات مختلفة دون أن تقف اللغة عائقاً
في سبيل ثقافتهم تصدهم لأول اختبارهم لها

وهنا التناقض بين النزعتين : نزعة اوجدت في تعميم السهولة
مع توخي الدقة في اللغة ، ونزعتنا نحن في الاكثار من المترادفات
واستعمال الكلمات القديمة النادرة حتى اننا نحتاج - في كتب الاطفال -
الى أن نفسر لهم في الهامش بعض الكلمات . وكأننا بهذا العمل نحاول
صددهم عن القراءة

وقد أشرت الى هذه اللغة الاساسية لأنني أرجو أن أرى
قيمة هذا المجهود تناقش في لغتنا . ويجب أن أعترف أنه على الرغم من

جميع الصعوبات التي تعترض التعبير الاقتصادي الصحيح في اللغة العربية ، قد استطعنا أن نقطع مسافة غير قصيرة نحو هذا الهدف .
والفضل الاول في هذا الميدان يعود الى الجريدة اليومية التي يضطر كاتبوها الى الاقتصاد في الكلمات . وأحياناً يترجمون التلغرافات وهي بطبيعة الاجور العالية لكلماتها مقتصدة موجزة لاتتحمل المترادفات أو البهارج . وفضل آخر في هذا الميدان أيضاً يعود الى المحاكم التي أجبرت القضاة والمحامين ورجال النيابة على استعمال لغة محبوبة المعاني بعيدة عن الشبهات والشكوك . وفضل ثالث يعود الى نشر القليل من كتب العلوم المادية التي تطالب المؤلف باستعمال كلمات قليلة تمتاز بدقة المعنى

ولكننا مازلنا في بداية الطريق . فان اقتراح قاسم امين بالغاء الاعداد واسكان أواخر الكلمات لم يلق أية عناية . وكذلك استعمال الارقام الأوربية كما يفعل اخواننا المغاربة بدلا من الارقام العربية لا يجد القبول الحسن . مع ان الارقام الاوربية اكثر اصاله في العربية من أرقامنا الحاضرة . وهي تمتاز بوضوح الصفر كما تميز تميزاً نيراً بين رقمي ٢ و ٣ اللذين يشبهان عند ما يطبعان بالنبط الصغير والآن يجدر بنا أن نتساءل : ما الذي حمل اوجدتين على التفكير في تأليف كتابه « معنى المعنى » وأيضاً على تيسير اللغة الانجليزية للأجانب وللمبتدئين بالاختصار على ٩٤٦ كلمة ؟

تطبع
كلم
سيح
من
ة ،
م ،
ولو
قبله
لي
عها
في
رأ

الذى حمّله على ذلك انه درس السيكلوجية وعرف منها
القيمة الاجتماعية والثقافية للغة الانجليزية . وجدير بنا أن ندرس لغتنا
في ضوء السيكلوجية حتى نجعل التعبير العربى أيضاً - كلمة وجملة -
وسيلة للخدمة الاجتماعية والثقافية . وربما يكون اوجدين قد بالغ
في الاقتصار على ٩٤٦ كلمة . ولكن موضوع اهتمامنا هو هذه النزعة
التي حملته على اختيار هذه الكلمات التي آثرها على غيرها لتيسير
التعليم للغة الانجليزية في حين نعمل نحن للتيسير

أليس من المستطاع أن نختار نحو ألف كلمة من اللغة العربية تمتاز
بالوضوح والدقة والألفة فنؤلف بها كتباً للصبيان في المدارس الالزامية
والابتدائية في الجغرافية والتاريخ والحيوان والنبات ومبادئ العلوم بحيث
يدخل الصبي في هذه الميادين فيمرح فيها ويطلب المزيد ، وبذلك
نبعث فيه الاستطلاع والتشوف ونغنيه عن الدمع الغزير والألم الوفير ؟
بل أليس من المستطاع أن نكتب بعض المجالات والجرائد بما نسميه
« العربية الأساسية » لأفراد الشعب الذين لا يعرفون من لغتنا غير
ألف أو ألفي كلمة ؟





التفسير الاقتصادي

للغة والادب العربيين

كثير مما سنقول في هذا الفصل قد مرّ بالقارئ متفرقاً ولكننا سنجمعه هنا لابرار المغزى في ترسيم هذا الكتاب وايضاح غايته والتفسير الاقتصادي هو التفسير الماركسي الذي يعال جميع الظواهر الاجتماعية في الامة بالنظام الاقتصادي الذي يعيش أفرادها وفق مبادئه، واجتماعهم يتغير بتغيره أو يركد بركوده. واللغة والادب كلاهما ظاهرة اجتماعية لا تختلف عن الاخلاق والعقائد ففي أمة صناعية مثل بريطانيا أو الولايات المتحدة نجد اللغة عصرية والادب مستقبلياً والتفكير علمياً. وفي أمة زراعية مثل مصر نجد اللغة والادب تليديين والتفكير عقيدياً أو سنياً. ولننظر النظرة التحليلية في ضوء «التفسير الاقتصادي للتاريخ» للغة والادب العربيين

١ - فالمجتمع العربي الذي ورثنا منه أدبنا، ولغتنا الكتابية، كان مجتمعاً اقطاعياً زراعياً أي كان يعيش أفراده بامتلاك الارض. وكان في أقله الذي لا يؤبه به تجارياً صناعياً. أي ان ٩٠ في المئة من العرب في مصر والعراق وسوريا واقطار افريقيا الشمالية كانوا يعيشون بالزراعة. ومن شأن الزراعة الجمود. فنحن نزرع القمح الآن كما كان

تطبع
كلم
سيح
من
ة
م
ولو
قبله
لتي
عها
في
رأ

ينزع قبل الف أو ألفي سنة . فلم يكن هناك ما يدعو الى تغيير العقائد أو الاخلاق أو الكلمات الزراعية . ومن ثم لم يكن هناك ما يدعو الى تغيير الادب في مثل هذا الوسط . بل ان كل محاولة للتغيير كانت تجحد لانها كانت تناقض الاستقرار الزراعى أى تناقض العيش

استقرار فى النظام الاقتصادى أدى الى استقرار (جمود) فى النظام اللغوى والادبى . فقواعد الزراعة التى جرى عليها المجتمع منذ الف سنة يقابلها قواعد اللغة وأسلوب الادب منذ الف سنة . والكلاسية أى التليدية التى نعانيها فى مصر الآن ليست لهذا السبب مفتعلة بل هى طبيعية لأننا مازلنا نعيش فى الوسط الزراعى الى حد كبير

٢ - هذا المجتمع العربى أيضاً كان مجتمعاً دينياً فكان الخليفة فى بغداد بمثابة البابا فى رومة . ومن غير المعقول أن نطالب أى دين الهى فى العالم بالتغير . فاستقرار الدين أدى الى استقرار اللغة أى جمودها . وأصبح رئيس الدولة أى الخليفة يحمى الدين : ويحمى الكلاسية أى التليدية فى اللغة . والعرش ينزع الى الماضى لأن حقوقه تعود اليه . فهو محافظ وأحياناً جامد أى ان للعرش أصولاً اقتصادية سلفية تؤدى الى مبادئ لغوية وأدبية كلاسية تليدية

واذ كر هنا فولتير يشتم من ذكر الفأر على المسرح لأنه كان يعيش فى ظل العرش الفرنسى بلا دستور وبلا ديموقراطية . واذ كر هنا أيضاً لغة الكهنة فى المعابد . فان تغيير الكلمة هنا يعادل الكفر

والآن لماذا لا نرضى بلغتنا العربية ، ولماذا يدعوا قاسم أمين ،
وعبد العزيز فهمي ، واحمد امين ، ولطفي السيد ، وبهي الدين بركات ،
الى اجراء تغييرات كثيرة أو قليلة في اللغة العربية ؟
السبب أن هؤلاء الرجال على وجدان بعصرهم أى هذا الوسط
الصناعى العالمى الذى يغمر الوسط الزراعى ويتسلط عليه كما تتسلط بريطانيا
الصناعية وعددها أقل من ٥٠ مليوناً على الهند الزراعية وعددها نحو
٤٠٠ مليون . وهم على وجدان بالنتائج الاجتماعية لهذا الوسط الصناعى
وهي الديمقراطية والحرية والاعتماد على المعرفة دون العقيدة والتوسل
بالعلوم الى الرقى الاقتصادى والاخلاقى والثقافى . وليس من الضرورى أن
يكون هذا الوسط الصناعى سائداً فى مصر لأن هؤلاء المجددين الذين
ذكرنا متمدنون ووسطهم الحقيقى هو هذا العالم كله . فهم يحسون تياراته
وينفعلون بنزعاته . وأستطيع أن أقول أنا ان نزعى الى الحضارة الصناعية
مع ما يجب أن يرافقها من ثقافة علمية هى التى تدفعنى الى الرغبة فى
التغيير حتى تلاءم اللغة ما أنشد من ثقافة علمية . وأستطيع أن أقول ان
عرقلة الصناعة المصرية منذ ١٩٠٤ حين وصف القانون المصنع بانه « محل
مقلق بالراحة الخ » قد عرقلت اللغة فى تطورها وحالت دون التفكير
العلمى واستبقت الكلاسيكية أى التقليدية فى الادب واللغة . وذلك لأن
هذا القانون قد استبقى الزراعة أسلوباً للعيش لأكثرية الأمة فأدى
استقرار العيش الى جمود اللغة والادب . ولولا هذا القانون لتفشت
الصناعة واستتبع تفشيها ثقافة علمية تطعم لغتنا بألوف الكلمات الجديدة

تطبع
كلم
يسبح
من
ة
كم
ولو
قبله
لتي
عها
في
أشراً



اللغة العربية في مدارسنا

القراءة أسهل بكثير من الكتابة الانشائية كما يتضح هذا عند ما نحاول أن نكتب إحدى اللغات الأجنبية التي تعلمناها . فانه يسهل علينا كثيراً أن نقرأ مؤلفاتها ولكننا حين نكتبها نجد الصعوبات الشاقة في تأليف عباراتها

ولهذا السبب يجب أن تكون الغاية الأولى من تعليم اللغة العربية في مدارسنا الابتدائية الشعبية (أى المدارس التى يجب أن تتناول مئة فى المئة من السكان) هى القراءة دون الكتابة التى قد يختص بها ٥٠ فى المئة من السكان أو أقل . فان العامل فى المصنع أو المزرعة أو الخادم فى المنزل أو مثل هؤلاء لا يحتاجون الى الكتابة الا قليلا جداً . ولكنهم - لى يكونوا متمدنين - يحتاجون الى القراءة كل يوم . وحتى عند ما يحتاجون الى الكتابة نرضى لهم وتقع منهم بما يعبر التعبير الساذج عن أفكارهم

ولسنا نعى ان هذه الحال سوف تكون دائمة . ولكننا نجد اننا

في الوقت الحاضر في فاقة مادية وثقافية تحملنا على القنوع بتعليم القراءة
للكافة من السكان ثم الارتقاء منها الى تعليم الكتابة الانشائية
للاقلية التي نحتاج اليها في المدارس الثانوية والجامعة

ولهذا السبب يجب أن تقتصر من تعليم اللغة العربية في مدارسنا
الابتدائية على تمكين التلميذ من المطالعة والفهم بلا حاجة الى أية
قواعد خاصة بالنحو . وليس عليه من حرج أن يقرأ فيرفع المفعول
وينصب الفاعل مادام يفهم ما يقرأ . وبدلاً من هذه القواعد النحوية
يجب أن يتعلم الصبي أكبر مقدار مستطاع من الكلمات التي ترد
في الجريدة والمجلة والمتجر والمصنع والدكان والمنزل . ولهذا السبب
يجب أن تتوافر لديه كتب المطالعة السهلة التي تغذو ذهنه بالمعارف
الطلية عن حياته الاجتماعية والسياسية وعن العلوم والفنون

أما في المدارس الثانوية فنشرع في تعليم أقل ما يستطيع من
قواعد النحو ولا نبالي الأعراب الذي أثبت الاختبار أنه لا فائدة منه
بتاتاً . لأننا كلنا نقرأ ونكتب دون أن نحتاج اليه . والوقوف في أواخر
الكلمات أي إسكانها هو الخطأ السديدة التي يجب أن تتبع .
وعندئذ يتوافر للتلاميذ الوقت لزيادة ما يدخرون من الكلمات . وهنا
تدخل البلاغة، ونعني بلاغة المنطق اللغوي للتمييز بين الكلمات من
حيث الدقة والاقتصاد في التعبير، وليس من حيث الأعياب الصغار
عن الاستعارات والمجازات كوجه القمر، وانت بجر، وعلم من فوقه نار، الخ

تطبع

كلم

سيح

من

ة

كم

ولو

قبلة

لتي

بها

في

أراً

ويجب أن تكون لنا غاية أخلاقية في تعليم اللغة العربية الى جنب
الغاية الثقافية وهي تعويد التلميذ القراءة حتى تعود حاجة ملحة في نفسه
لايستطيع الاستغناء عنها طيلة عمره . ولهذا يجب أن تكون لديه مئات
من الكتب التي تبسط له المعارف البشرية في عبارة مقتصدة تفتح
له افاقا ذهنية جديدة في كل عام من أعوام دراسته فتشير استطلاع
وتحمّله على البحث والتساؤل . ولهذا السبب يجب أن تتناول كتب
المطالعة - في المدرسة والبيت - موضوعات البيولوجية والاجتماع
والتراجم والكيمياء والفلك والاقتصاد والصناعة . والمألوف في الوقت
الحاضر أن تحتوى كتب المطالعة للاقسام الثانوية على مقطوعات أدبية
من كتب العرب قبل ألف أو خمسمئة سنة . ولكن هذه الكتب
لا تثير الاستطلاع ولا تحمل التلميذ على التساؤل والبحث والدراسة
الذاتية ولا تعود القراءة بعد أن يترك المدرسة بل حتى بعد أن يترك
الجامعة ، ولذلك يجب أن تؤلف الكتب الجديدة في المعارف
العصرية التي تستفز التلميذ الى البحث

وهنا يجب أن نذكر حادثا له قيمته هنا . فقد حدث ان قصد
فوج من طلبة احدى الجامعات في الولايات المتحدة الى المانيا للتعلم .
وكان منهم من شاء التخصص في اللغة والادب ومن قصد الى
التخصص في العلوم كالكيمياء أو البيولوجية أو الطبيعيات . فبعد عام
من الدراسة اتضح ان الذين قضوا عامهم في دراسة اللغة والادب

بالذات لم يحسنوا تعلم هذه اللغة ، لا كلاماً ولا كتابة ، كما أحسنها أولئك الآخرون الذين قضوا عامهم في دراسة الكيمياء والبيولوجية والطبيعات . وذلك لأن الفريق الأول قضى وقته في دراسة نحو اللغة وبلاغتها في حين ان الآخرين قصدوا الى مادة علمية درسوها بالألمانية فأتقنوا اللغة عن سبيل دراسة هذه المادة

ويجب أن نسترشد نحن بهذا المثل في تعليم اللغة العربية . فأننا نحسن تعلمها بقراءة الكتب التي تختلف موضوعاتها . لأن هذا الاختلاف في الموضوعات يخلص الذهن تفكيراً وفهماً كما انه يوفر للتلميذ مئات الكلمات التي تثير استطلاعاً وتفهماً فيستزيد من القراءة ويستنير ويعرف اللغة . بل يعرفها هذه المعرفة المتفاعلة المتجددة مع مجتمعه . أما اذا قصرناه على دراسة القواعد النحوية والبلاغية وكتب الادب القديم فانه يزهد ويقل استطلاعاً أو ينعدم لأنه يجد انه قد تعب في استظهار كلمات لا تتفاعل مع مجتمعه

قلنا انه يجب أن تكون لنا غاية أخلاقية في تعليم اللغة العربية هي تعويد التلميذ القراءة بحيث لا يستطيع الكف عنها طيلة حياته . وغاية أخرى نتوخاها هي تكوين شخصيته بالمناقشة والخطابة . ولا نغنى بالخطابة تلك الحركات المنبرية البهلوانية التي تعتمد على قوة الذراعين والحنجرة أكثر مما تعتمد على الفهم والتمييز . وانما نغنى أن نكثر

تطبع
كلم
صحيح
من
ة
كم
ولو

قبله

التي

معها

في
أثراً

من الموضوعات التي يطالعها التلاميذ مع المعلم فنشأ المناقشة المنيرة التي
يتعلم منها التلميذ كيف يناقش وينتقد

واذن يجب على معلم اللغة العربية في مدارسنا الابتدائية والثانوية
أن يكون موسوعي المعارف يستطيع الشرح للموضوعات الاجتماعية
والبيولوجية والتاريخية والفلكية . وعليه أيضاً أن يعرف على الأقل
لغة أجنبية أو لغتين لكي يقارن بين العربية وبينهما ويجدد في لغتنا
بمقدار انتفاعه من الجديد فيهما . وانه لزهو مضحك أن يعتقد أحداً
أن لغتنا تستطيع أن تعيش مستكفية لا تستمد التعبير الحسن من
الانجليزية أو الفرنسية وان عليها أن تجتر نفسها دون أن تزود من
المعارف العصرية . وهذا الاعتقاد من أكبر الأسباب للفاقة الثقافية
التي نعانيها في وقتنا





إذا كان الأساتذة والطلبة في كلية الآداب في الجامعة أو في دار العلوم أو في كلية اللغة العربية راضين عن اللغة العربية فضاؤهم يمكن أن يعمل ويفسر من الناحية الماركسية ولكنه لا يفسر من الناحية الثقافية . لأن هذه اللغة لا ترضى رجلاً مثقفاً في العصر الحاضر إذ هي لا تخدم الأمة ولا ترقىها لأنها تعجز عن نقل نحو مائة علم من العلوم التي تصوغ المستقبل وتكيفه .

وهذا السخط الذي يتولانا كلما فكرنا في حالنا الثقافية وتعطيل هذه اللغة لنا عن الرقي الثقافي تزيد حدته كلما فكرنا ، وأدى بنا التفكير ، إلى اليقين بأن اصلاحها مستطاع .

والقلق عام ولكن الجبن عن الابتكار أعم . ولذلك قلما نجد الشجاعة للدعوة إلى الإصلاح الجريء إلا في رجال نابيين لا يبالون بالجمهور أو الغوغاء مثل قاسم أمين بك أو أحمد أمين بك حين يدعو كلاهما إلى إلغاء الأعراب ، أو مثل عبد العزيز فهمي باشا حين يدعو إلى الخط اللاتيني .

والواقع أن اقتراح الخط اللاتيني هو وثبة إلى المستقبل لو أننا

تطبع

كلم

صحيح

من

ة

كم

ولو

قبله

التي

معها

في

أثراً

عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر الى مقام تركيا التي أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها وفتح لها أبواب مستقبلها .

واقترح عبد العزيز فهمي باشا يحتاج أولاً الى العمل بالغاء الاعراب الذي لم نتعلمه ولم نعمل به قط . والغاؤه يجعل الهجاء العربي في الخط اللاتيني سهلاً . ثم هو يغنينا عن وضع الحركات في أعلى وأسفل الكلمة لأن الحركات في الخط اللاتيني حروف تدخل في صلب الكلمة .

ولنتظر في بعض الميزات التي للخط اللاتيني .

١ - فأول ذلك أننا تقترب نحو التوحيد البشري . فان هذا الخط هو وسيلة القراءة والكتابة عند المتمدنين الذين يملكون العلم والقوة والمستقبل . وهذا الخط تأخذ به الأمم التي ترغب في التجدد كما فعلت تركيا . ومن المرجح أن يعم هذا الخط العالم كله قريباً .

٢ - حين نصطنع الخط اللاتيني يزول هذا الانفصال النفسي الذي أحدثته هاتان الكلمتان المشؤمتان « شرق وغرب » فلا تعير من أن نعيش المعيشة العصرية . ولا بد أن يجر هذا الخط في أثره كثيراً من ضروب الإصلاح الأخرى ، مثل المساواة الاقتصادية بين الجنسين ، ومثل التفكير العلمي ، ومثل العقلية بل النفسية العلمية ، الخ .

٣ - يمتاز الاوربيون بقدرتهم على إيجاد المعاني الجديدة بالصاق مقاطع مشتقة من اللغتين الاغريقية واللاتينية فيخلقون المعنى الجديد

من الكلمة القديمة . ونحن ننتفع بهذه المقاطع اذا أخذنا بهذا الخط ولا يمكن أن نستعمل هذه المقاطع مادام الخط بالحرف العربي .
٤ - والكلمات العلمية التي تقف عقبة شاقة في لغتنا تغدو سهلة

الاستعمال بالخط اللاتيني .

٥ - ثم يجب ألا ننسى أن الخط اللاتيني لا يكلفنا في تعلمه عشر الوقت الذي تقضيه في تعلم الخط العربي بل ربما أقل .

٦ - وعندما نكتب لغتنا بالخط اللاتيني نجد أن تعلم اللغات الأوربية قد سهل أيضاً فتفتح لنا آفاق هي الآن مغلقة .

وبالجملة نستطيع أن نقول أن اتخاذ الخط اللاتيني هو وثبة في النور نحو المستقبل ولكن هل العناصر التي تنتفع ببقاء الخط العربي والتقاليد ترضي بهذه الوثبة .



تطبع
كلم
صحيح
من
ة
كم
ولو

قبلة

التي

معها

في
أثراً



إذا فرضنا أن صبيين في سن واحدة شرعاً يتعلمان ، أحدهما
الانجليزية والآخر العربية ، دون أن يكون لأحدهما معرفة سابقة
باللغة التي سيتعلمها ، فإن الصبي الذي سيتعلم الانجليزية لا يحتاج
لأكثر من ستة أشهر لكي يتكلم ويقرأ ويكتب هذه اللغة على
طريقة أوجدين . أما الصبي الذي سيتعلم العربية فإنه يحتاج الى ما لا
يقلّ عن أربع سنوات . أى أن الوقت الذي يقضيه المتعلم للغة
العربية يزيد ثمانية أمثال على ما يقضيه المتعلم للغة الانجليزية

ولكى نفهم هذا الفرق يجب أن نذكر بعض العقبات التي
سيلاقيها متعلم العربية ولا يلاقي مثلها متعلم الانجليزية . فأول ذلك
أن حروف الكتابة تزيد عندنا على مئة حرف . لأن لكل حرف
شكلاً معيناً يتبع موقعه في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها . أما في
الانجليزية فالحرف لا يتغير بتغير موقعه في الكلمة .

وفي لغتنا يجب أن نميز الجنس فنعرف أن الكرسي مذكر
والحرب مؤنثة . أما الانجليزية فلغة غير جنسية .

ومتعلم الانجليزية يعرف أن الواحد مفرد وما زاد عليه فيجمع
أما متعلم العربية فيجب أن يعرف أن ما زاد على واحد قد يكون اثنين

فهو ليس مفرداً ولا جمعاً . بل هو صيغة خاصة تحتاج الى قواعد خاصة .
وقد كانت صيغة المثني قائمة في الانجليزية ولكنها ألغيت . والصبي الذي
يتعلم الانجليزية يستطيع أن يعبر عن العدد من واحد الى ألف بسهولة .
أما في العربية فالصبي يحتاج الى شهور لكي يدرس قواعد العدد .
وصبياننا في المدارس الثانوية يعدون بالفرنسية والانجليزية ولا يعرفون
كيف يعدون بالعربية للمشتقة التي يلاقون في قواعد العدد .

والصبي في الانجليزية يجد قاعدة واحدة للجمع مع شواذ قليلة
جداً لا يؤبه بها . أما في العربية فعندنا من جمع التكسير قواعد لا
تحصى . بل يكاد أن تكون لكل كلمة قاعدة . والمعرفة التامة لجمع
التكسير تحتاج الى العمر كله ولو كان مئة سنة

وكل كلمة انجليزية آخرها سكون . ولكن الاعراب في لغتنا هو
لعبة بهلوانية للذهن واللسان . ولن نحسنها الا بعد أن نربي عضلات
قوية تستجيب بسرعة . وكثيراً ما رأينا أن القارئ الذي يلتفت الى
الاعراب لا يفهم ما يقرأ وهو يعرب

ومشكلة الهمزة في لغتنا ليس لها نظير في اللغة الانجليزية كما اننا
يجب أن نعرف الفرق بين الالف المقصورة والالف الممدودة . والمتعلم
للانجليزية لا يجد مثل هذه المشتقات

وأكثر من ذلك حركات الحروف في الكلمة الواحدة التي
ربما تتألف من ثلاثة حروف ولكن يمكن أن تنطق على اثني عشر

تطبع

كلم

صيح

من

ة

كم

ولو

قبله

التي

معها

في

أراً

شكلا مختلفا . وهذا الاختلاف يحتاج - مثل جمع التكسير - الى العمر كله ولو كان مئة سنة لكي نحفظ لكل كلمة شكلها . أما الذي يتعلم الانجليزية فلا يحتاج الى هذا لأن الحركات قد صارت حروفا في صلب الكلمة

وهناك قواعد أخر للمتفرفين في اللغة كالتوين والتصغير يحتاج الذي يتعلم العربية الى شهور لدرسها ، أما متعلم الانجليزية فلا يحتاج الى شيء من هذا

ثم يجب ألا تنسى بعد كل هذه المصاعب ان الصبي الذي يتعلم الانجليزية سيجد ان ماتعلمه يخدمه في الكلام والكتابة . ولكن الصبي الذي تعلم العربية يحتاج الى ان يعرف اللغة الدارجة للكلام ثم اللغة الفصحى للكتابة . وهذا مجهود آخر

والذي نلاحظه في مصر ان الذي يلتفت الى اللغة العربية ويستوفي قواعدها دراسة يحتاج الى العمر كله . فلا يجد الوقت لأية دراسة أخرى الى جنب اللغة

وليست اللغة سوى وسيلة للفهم والدرس . فاذا كانت تحتاج الى السنوات الطويلة لدراستها فان هذه السنوات محسوبة علينا وهي مقطوعة من الوقت الذي كان يمكن ان نرصده لدراسة الجغرافية والتاريخ والادب والجيولوجية والفلك والطبيعات والكيمياء الخ . وذلك المسكين الذي يقضى عمره في دراسة اللغة دون غيرها انما هو

بمثابة ذلك الذي يكد طيلة عمره لشراء آلة للغزل أو النسج حتى اذا اشتراها لم يغزل ولم ينسج . لأن اللغة آلة ولا يمكن أن نفرح باقتناء الآلة ما لم نستخدمها

واذن يجب أن تكون الغاية من دراسة اللغة التعبير عن الجيولوجية والفلك والطبيعات والكيمياء الخ . أما اذا كانت دراستها لا تؤدي هذه الغاية فهي عقيمة . وهي لن تؤديها مادامت كثيرة القواعد والشذوذات وما دامت تحتاج الى السنين الطويلة والجهد العظيم لدراستها ، لان هذه السنين الطويلة وهذا الجهد العظيم يجب أن ننقهما في دراسة هذا الكوكب ، ناسه ، وحيوانه ، ونباته ، ومواده ، وحضارته ، وعلومه ، وآدابه .

واذا كان أوجدین قد احتاج الى ١٨ فعلا فقط لكي يصل الى التعبير عن الحاجات المألوفة في اللغة الانجليزية فاننا يجب الانفخر بأن عندنا عشرة آلاف فعل . لأن هذه الكثرة ليست وفرة الثراء وانما هي زحمة واختلاط .

واذن يجب أن نتجه نحو التيسير لا التعسير في تعليم اللغة العربية ، تنفع بأقل ما يمكن من القواعد ونرفض كل ما يمكن من الشذوذات ، ونختار من هذه الألوف من الكلمات نحوالف كلمة للتعبير الدقيق في العلم والأدب والفلسفة . ونؤلف بهذه الكلمات كتباً لصبياننا في المدارس الابتدائية والثانوية . ثم نرتقي من هذه

تطبع

كلم

صحيح

من

ة

كم

ولو

،

قبله

التي

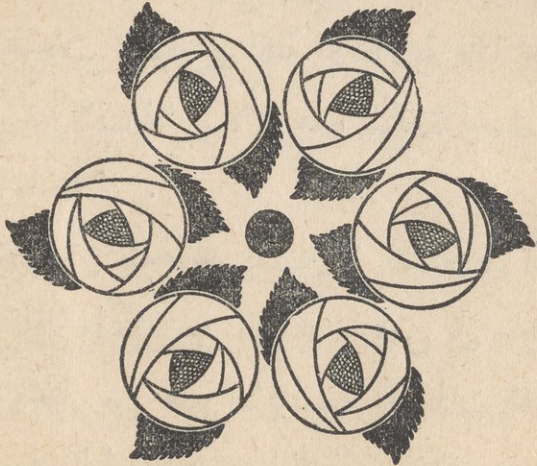
نعما

في

أثراً

الالف من الكلمات الي غيرها ولكن مع الحرص على أن تتجنب
الكلمات السائبة التي يغمض معناها لأنها تضلل بدلا من أن ترشد .
وربما يكون من الحسن أن نميز بين القارئ والكاتب في تعلم
اللغة العربية . فإذا كانت الغاية من التعلم هي القراءة فقط فإننا نستطيع
أن نصل الى ذلك بأقل القواعد أو بلا قواعد نحوية . وجمهور الأمة
يقرأ ولا يكتب . ثم تقصر تعلم القواعد - بعد التيسير - على الذين
سيكتبونها .

وليس لهذا التمييز شبيه في لغات العالم المتمدن ولكن لغتنا شاذة
وتحتاج الى اجراء شاذ .





سبق أن قلت أن الذي بعثني على تأليف هذه الرسالة أو هذا
الكتيب هو مقال نشره الاستاذ أحمد أمين بك في مجلة الثقافة بشأن
ما يطرأ على الكلمات من تغيير لا اختلاف الزمان أو المكان اللذين
تستعمل فيهما . وأرجو القارئ أن يعرف أن ما كتبتة هو بمثابة
التعقيب أو الشرح (الذي قد لا يرضاه أحمد أمين بك) لهذا المقال .
وغايتي قبل كل شيء المناقشة حتى نصل الى تمحيص جديد لمعاني
الكلمات واستخدام هذه الكلمات في بلاغة جديدة للفهم السديد
ومع أن ماسبق انما هو تلخيص ، فاني اعتقد أن القارئ يحتاج
هنا الى تلخيص التلخيص ، حتى تبرز الأعلام الهامة لهذا الموضوع :
١ - يجب أن نكبر من شأن لغتنا العربية وأن نواليها أعظم
اهتمامنا لأنها وسيلة التفكير . ولا يمكن التفكير الحسن بلا لغة حسنة .
٢ - كان فن البلاغة العربية ولا يزال الى الآن فن التعبير عن
العاطفة والانفعال . ونحن لا نفكر ، حين نفعل أو نستسلم للعاطفة ،
التفكير الحسن . ولذلك فان هذا الفن لا يخدم التفكير العلمي والفلسفي
٣ - المجتمع الحسن هو الذي يقوم على العقل وحل المشكلات
١٠ - البلاغة

تطبع
كلم
صحيح
من
عة ،
كم ،
ولو ،
قبله
التي
نعما
في
أراً

بالمنطق . فنحن في حاجة الى بلاغة جديدة تؤدي الى دقة الفهم العلمي لايجاد مجتمع علمي ، بلاغة تميز بين الكلمة الذاتية وبين الكلمة الموضوعية .
٤ - اللغة هي تراث قديم تحمل كلماتها معاني الحياة البدائية (الحياة من الحيا والروح من الريح) أو تحمل معاني السحر (علا نجمه وأفل نجمه) بل هي حافلة بأحافير ورواسب يجب أن نتوقى استعمالها اذا شئنا التفكير السديد

٥ - كان المجتمع العربي القديم يستند الى العقائد والتقاليد وكان مجتمعاً حريياً يحتاج الى لغة العواطف والانفعالات التي تحرك الارادة ولذلك أصبحت بلاغته كذلك . وهي لهذا السبب صغيرة القيمة في خدمة مجتمعنا الذي نحاول أن نجعله يسير على مبادئ المنطق والعقل والعلم .
٦ - داء الادب واللغة عندنا هو الكلاسية أى التليدية وهي تؤدي عندنا الى محاولة استرداد الامس بالتعبير والتفكير

٧ - المبالغة في هذه الكلاسية تؤدي الى تحجر اللغة كأنها لغة الكهنة في المعابد فتقطع الصلة بينها وبين المجتمع

٨ - في لغتنا كلمات تحمل شحنات عاطفية سيئة تؤدي الى ارتكاب الجرائم (الدم والعرض في الصعيد) أو الى كراهة بعضنا بعضاً (كافر . نجس) والكلمات الجنسية التي تؤدي الى خيالات الحشاشين .
وعلينا أن نقى عقولنا من هذه الكلمات .

٩ - للكلمة إيجاء اجتماعي للخير أو للشر . فيجب أن نستغل

اللغة للتوجيه الحسن للأمة والفرد . والبلاغة القديمة - بلاغة العاطفة والانفعال - مفيدة هنا للتوجيه الاجتماعي الحسن . ولكن مع الحذر العظيم من الدعاية السيئة .

١٠ - لن نستطيع الارتفاع بذكائنا إلا اذا كانت اللغة ذكية أيضاً أى تؤدي المعاني الدقيقة فى العلوم والفلسفات . ومن هنا ضرورة العناية بتمحيص المعاني حتى نمنع الالتباس . ولهذا تجب مقاطعة المترادفات والمتشابهات (مثل بلدة للمدينة وبلد للقطر) .

١١ - الكلمات الحسنة فى اللغة الحسنة تبني الأخلاق حتى ليصح أن نعد الكلمة شعاراً ننضوى اليه كما لو كان راية فى جهاد . وعندنا من كلمات المروءة والشهامة والبر والحرية وأمثالها مانبنى به المجتمع الحسن ١٢ - علينا أن نزيد فى لغتنا مثل هذه الكلمات بحيث تخدم تطورنا العصري فنؤلف الكلمات التى توحى الرقى وزيادة الصحة والسعادة والنور والثقافة .

١٣ - والبلاغة الجديدة هى بلاغة المنطق الذى يرشدنا الى توقى الخطأ . والتفكير السديد هو التفكير العلمى الموضوعى الذى يقوم على التجربة . واللغة الحسنة هى التى تؤدي المعنى فى دقة هندسية ووضوح اقليدى

١٤ - قد نشأت فى عصرنا الحديث لغتان جديدتان احدهما لغة العلوم فيجب أن نأخذ كلماتها جميعها بلا ترجمة . ولغة كوكبية

تطبع
كلم

صيح

من

ة

كم

ة ولو

قبله

التي

نعمها

في

أثراً

أخرى ينطق بها كل متمدن في الدنيا مثل التليفون والتلغراف والسينما توغراف والرديو فون فيجب ألا تقاطعها لأنها لغة كوكبية جديدة لا تملكها أمة دون أخرى

١٥ - كل انسان متمدن يجب أن يتعلم ثلاث لغات : لغته الاصلية التي تعلمها من أمه، ولغة العلوم التي تكتب بها الجيولوجية واليوجنية والفسولوجية والكيمياء الخ . ولغة هذا الكوكب كما ترى في كلمات كوكبية تنشرها الجرائد والكتب

١٦ - يجب أن نستبصر بحركة الاستاذ اوجدين في الايجاز والتبسيط باختيار الكلمات المحكمة التي لا تتحمل الشكوك في معانيها وأن نيسر تعليم اللغة العربية للعربي وللأجنبي

١٧ - لغتنا العربية كثيرة القواعد والشذوذات والكلمات المترادفة أو المشتبهة وهي تحتاج من الوقت لتعلمها نحو ثمانية أو عشرة أمثال الوقت الذي تحتاجه اللغة الانجليزية . فيجب أن نتجه نحو تيسيرها بالاقلال من القواعد والشذوذات بل والكلمات

١٨ - اتخاذ الخط اللاتيني يحمل الامة الى الامام مئات السنين ويكسيها عقلية المتمدنين ويجعل دراسة العلوم سهلة . وهو خطوة نحو الاتحاد البشري

﴿ انتهى ﴾

القَامُوسُ الْعَصْرِيُّ

عربي - انكليزي

عن مجلة المقتطف شهر أكتوبر ١٩٤٤ :-

١ - انه معجم حي لامعجم ميت . انك تُنفى جميع المعاجم التي تطبع أو تُؤلف في هذه السنين الأخيرة ، أي مُنذ نحو مائة سنة ، تدون الكلم القديمة منذ نأثاة الاسلام الى هذا العهد ، ولا تقيّد حرفاً واحداً من فصيح كلام المعاصرين . وهذه الصفة تجعل الكتاب من كتب الأموات لا من كتب الأحياء ، تقرّ فيها مثلاً سيّارة ، وطيارة ، وغواصة ، ومدرعة ، ودبّابة (بالمعنى الحديث) ودراجة ، وسحابة ، وجميع أوضاع المحاكم ، ومصطلحات القضاء ، والقانون ، فانك لا تجد لها ذكراً ، ولا إشارة ولو من طرف خفي إلا في النادر ، لكنك تجدها في « القاموس العصري »

٢ - انه المعجم الوحيد الذي حصل على امتياز لم يحصل عليه قبله مثله . وهو انه نُقل الى اللغة الصينية حرفاً بحرف الخ

٣ - انه « المعجم الوحيد » الذي وضع بجانب الكلمة العربية التي يُنشد نقلها إلى الانكليزية ، ما يفيد معناها بالعربية أيضاً الخ

٤ - انه « المعجم الوحيد » الذي يسرد لك جميع الألفاظ التي وضعها المعاصرون ، من أرباب الصحف ، والمجلات ، والمؤلفات العصرية ، في العلوم والآداب ، والفنون ، والصنائع المستحدثة ، ولا تكاد تجد لها أثراً في سائر الدواوين .

٥ - انه « المعجم الوحيد » الذي تجد فيه كيف تقع على الكلمة التي لا تسقط عليها في مظنتها ، فهو يرشدك إلى محل الاطلاع عليها وهي ميزة تفرد بها هذا السفر الجليل ... الخ

٦ - انه « المعجم الوحيد » الذي راجع صاحبه جرائد ومجلات ، معاجم صغيرة وكبيرة ، دواوين خاصة وعامة ، تأليف اختصاصيين وغير اختصاصيين ، قديمة وحديثة ، لأبناء العرب ولأبناء الغرب .

٧ - انه « المعجم الوحيد » الذي جمع إلى جودة التأليف وسعة الموضوعات ، طبعاً متقناً ونظيفاً ، وحروفاً افرنجية وعربية ، ضخمة ودقيقة ، وورقاً صقيلاً وأبيض ، ثخيناً وقوياً ، وكلها أمور نادرة ، لم تجتمع في كتاب عصري ، ألف في عهدنا هذا .

٨ - انه « المعجم الوحيد » الذي لم يُطبل له صاحبه ولم يزمر له ، وجعل قيمته بخسة ، هي ليست بشيء يُذكر بجانب ما فيه من الحسنات ، والفوائد الجزيلة العوائد .

٩ - انه « المعجم الوحيد » الذي أقبل العرب على اقتنائه ، ولم يحبوا أن يضعوا بجانبه معجماً آخر ، ضخماً كان أو غير ضخم ، لأنهم وجدوا فيه ضالتهم المنشودة ، وجميع أمانهم ، من ألفاظ عربية ، ومصطلحات انكليزية ، وكل ذلك في أوراق قليلة ، وصفحات وُضاعة ، دفعتهم إلى أن لا يقابلوه بأي معجم آخر طُبِعَ إلى الآن الخ

بتوقيع

حضرة العالم اللغوي

الأب انتاس ماري الكرمل

عضو مجمع فؤاد الاول للغة العربية

القَامُوسُ الْعَصْرِيُّ

عربي - انكليزي

عن مجلة المقتطف شهر أكتوبر ١٩٤٤ :-

١ - انه معجم حي لا معجم ميت . انك تُلغى جميع المعاجم التي تطبع أو تُؤلف في هذه السنين الأخيرة ، أي مُنذ نحو مائة سنة ، تدون الكلم القديمة منذ نأناة الاسلام الى هذا العهد ، ولا تقيّد حرفاً واحداً من فصيح كلام المعاصرين . وهذه الصفة تجعل الكتاب من كتب الأموات لا من كتب الأحياء ، تقرّ فيها مثلاً سيارة ، وطيّارة ، وغواصة ، ومدركة ، ودبّابة (بالمعنى الحديث) ودراجة ، وسحابة ، وجميع أوضاع المحاكم ، ومصطلحات القضاء ، والقانون ، فانك لا تجد لها ذكراً ، ولا إشارة ولو من طرف خفي إلا في النادر ، لكنك تجدّها في « القاموس العصري »

٢ - انه المعجم الوحيد الذي حصل على امتياز لم يحصل عليه قبله مثله . وهو انه نُقل الى اللغة الصينية حرفاً بحرف الخ

٣ - انه « المعجم الوحيد » الذي وضع بجانب الكلمة العربية التي يُنشد نقلها إلى الانكليزية ، ما يفيد معناها بالعربية أيضاً الخ

٤ - انه « المعجم الوحيد » الذي يسرد لك جميع الألفاظ التي وضعها المعاصرون ، من أرباب الصحف ، والمجلات ، والمؤلفات العصرية ، في العلوم والآداب ، والفنون ، والصنائع المستحدثة ، ولا تكاد تجد لها أثراً في سائر الدواوين .

٥ - انه « المعجم الوحيد » الذي تجد فيه كيف تقع على الكلمة التي لا تسقط عليها في مظهرها ، فهو يرشدك إلى محل الاطلاع عليها وهي ميزة تفرد بها هذا السفر الجليل ... الخ

٦ - انه « المعجم الوحيد » الذي راجع صاحبه جرائد ومجلات ، معاجم صغيرة وكبيرة ، دواوين خاصة وعامة ، تأليف اختصاصيين وغير اختصاصيين ، قديمة وحديثة ، لأبناء العرب ولأبناء الغرب .

٧ - انه « المعجم الوحيد » الذي جمع إلى جودة التأليف وسعة الموضوعات ، طبعاً متقناً ونظيفاً ، وحروفاً افرنجية وعربية ، ضخمة ودقيقة ، وورقاً صقيلاً وأبيض ، نحياً وقوياً ، وكلها أمور نادرة ، لم تجتمع في كتاب عصري ، ألف في عهدنا هذا .

٨ - انه « المعجم الوحيد » الذي لم يُطبل له صاحبه ولم يزره له وجعل قيمته بخسة ، هي ليست بشيء يُذكر بجانب ما فيه من الحسنات ، والفوائد الجزيلة العوائد .

٩ - انه « المعجم الوحيد » الذي أقبل العرب على اقتنائه ، ولم يحبوا أن يضعوا بجانبه معجماً آخر ، ضخماً كان أو غير ضخم ، لأنهم وجدوا فيه ضالتهم المنشودة ، وجميع أمانهم ، من ألفاظ عربية ، ومصطلحات انكليزية ، وكل ذلك في أوراق قليلة ، وصفحات وضاء ، دفعهم إلى أن لا يقابلوه بأي معجم آخر طُبع إلى الآن الخ

بتوقيع

حضرة العالم اللغوي

الأب انطاس ماري الكرمل

عضو مجمع فؤاد الاول للغة العربية



七

4.

五

一

المو

۹۹

25

9

وا

45

و

و

2



30 JUN 1999

PJ
6074
.M8
1945